صورة يذبل

"صبحا"

في الشعر العربي

إعداد

د. حمد فهد محمد جنبان القحطاني

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية –

كلية التربية والآداب بتربة جامعة الطائف

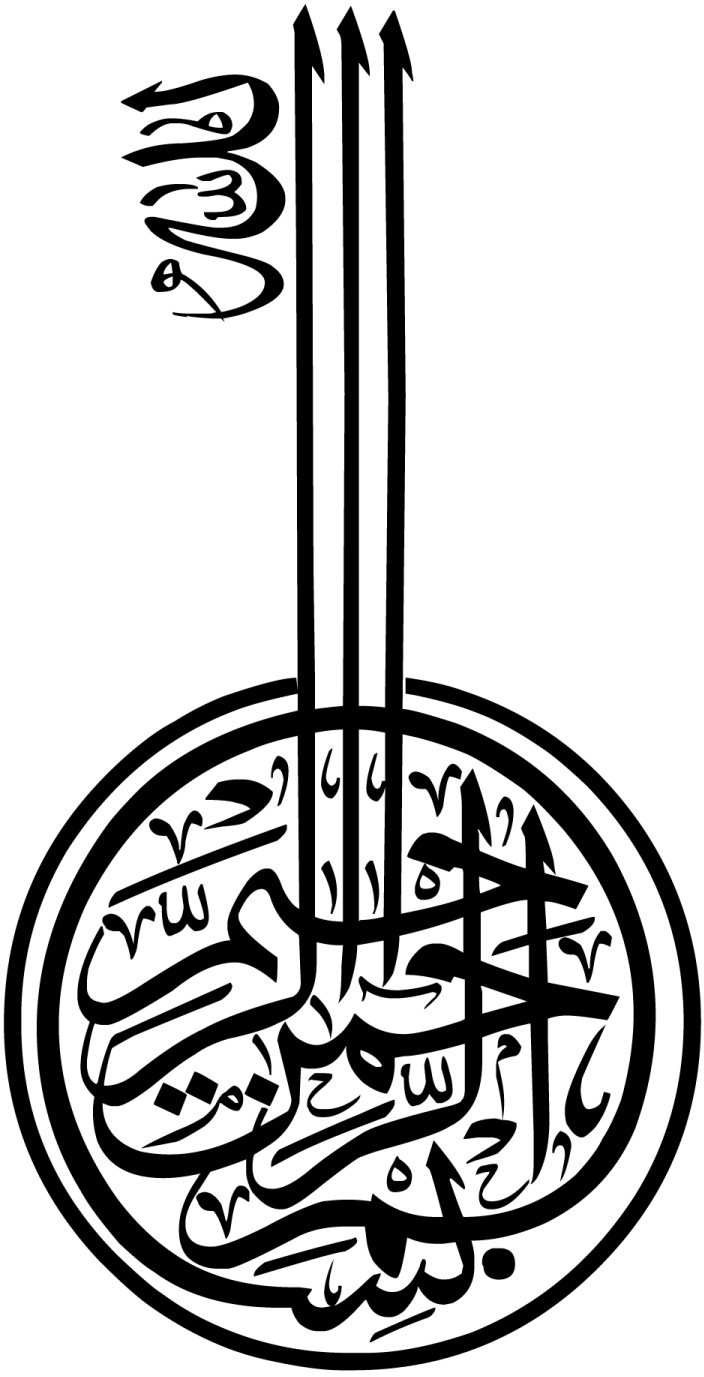

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث ما قاله الشعراء عن جبل "يذبل" في أشعارهم منذُ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ويبحث في الأغراض التي تناولها الشعراء من مديح وهجاء ورثاء وغزل وغير ذلك.

ويبحث في صفات جبل "يذبل" من ارتفاع وكبر وثبات وبقاء وطبيعته الصامتة والمتحركة، والمكان الحقيقي والمتخيل وتصوير الجبل عن طريق تشخيصه أو تجسيده.

ويعرّج البحث على تأثر الشعراء بعضهم ببعض، وقد بدا هذا في أشعارهم، فـ"يذبل" حاضر في الشعر العربي على مر العصور؛ لإثبات قيمته المعنوية والأدبية.

مقدمة:

يُعَدُّ جبل "يذبل" من الجبال المهمة التي تناولها الشعراء كثيرًا في قصائدهم، وهو يقع في عالية نجد الجنوبية، وتغيّر اسمه إلى جبل صَبْحَا، وهو من أكبر جبال نجد وأبرزها، وهذا البحث يتناول صورة جبل "يذبل" في الشعر العربي منذُ العصر الجاهلي، ووروده في أشعار العرب عبر العصور المختلفة حتى العصر الحديث.

وتتجلى أهمية هذا البحث في أنه يتناول مَعْلَمًا مهمًّا من معالم جزيرة العرب، كان ملْهمًا للشعراء العرب على مر العصور، ولم يتناوله بحث سابق، ويبيّن أهمية معالم البيئة العربية وحضورها في الشعر العربي.

تكمن مشكلة هذا البحث في أنه لا يوجد بحث تناول موضوعه المتمثل في صورة جبل "يذبل" في الشعر العربي من قبل –بحسب علمنا– وتكمن مشكلته أيضًا في محاولة اكتشاف السبل التي تناول بها الشعراء ما ارتبط بجبل "يذبل" من صفات، مثل: الفخامة والارتفاع والثبات وغير ذلك. ولقرب الباحث من هذا المكان الجغرافي ومعرفته بأشياءٍ يحتوي عليها هذا الجبل ويتصف بها تتطابق مع قول الشعراء وكتب التراث العربي كان سببًا في اختيار الموضوع، وكشف ما فيه من مخزون تراثي.

ويطرح البحث تساؤلاتٍ عِدَّةً: هل كان جبل "يذبل" ملْهمًا بالفعل للشعراء على مدى العصور؟ وهل استطاعوا التعبير عن صفاته تعبيرًا موفقًا؟ وهل كانت صفاته منبعًا استقى منه الشعراء معاني ارتبطت بالمديح وغيره؟

ويهدف هذا البحث إلى إيضاح صورة جبل "يذبل" في الشعر العربي، واتجاهات الشعراء في رسم صورته، وربطها بالأغراض التي تناولوها في أشعارهم.

ويتبع هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، حيث يجمع النماذج الشعرية لأشهر الشعراء بدءًا من امرئ القيس، ثم يبيّن تنوع تلك النماذج واختلاف موضوعاتها وطرق تناولها، ويعمد البحث بعد ذلك إلى تحليل تلك النماذج.

وقد جاء عنوان هذا البحث (صورة يذبل "صبحا" في الشعر العربي)، وجعلته في مقدمة يعقبها تمهيد، ثم ثلاثة فصول، وخاتمة أعقبتها المصادر والمراجع، وبيان ذلك الآتي:

المقدمة تناولت موضوع البحث وأهميته، كما تناولت تساؤلات البحث وأهدافه ومنهجه، ثم عرضت محتوياته.

التمهيد تناول معنى "يذبل" وتغير اسمه إلى "صبحا"، كما تناول المياه والقبائل الموجودة عند الجبل أو بالقرب منه، كما تناول وصف الجبل.

الفصل الأول: عرض علاقة "يذبل" بالموضوعات الشعرية، مثل: المديح؛ حيث ربط "يذبل" بالحلم عند الممدوح، كما ربطه بالشجاعة، وتناول صلة الجبل بأغراض شعرية أخرى، مثل: الرثاء، والهجاء، والغزل، والوصف.

الفصل الثاني: يبحث في الطبيعة وصفات "يذبل"، فتناول في **المبحث الأول** الطبيعة و"يذبل"، مبيّنًا ما يجده الحيوان من أمان في ذلك

الجبل، مثل: الوعل، والأسد، والإبل، والعقبان من الطيور التي تسكن الجبل.

وتناول في **المبحث الثاني** الطبيعة المتحركة والصامتة، فمن الطبيعة الصامتة التي تناولها الشعراء في "يذبل" الأودية والسيول والربيع والسفح والفرع والغار، كما تحدث عن صفات جبل "يذبل" في القوة والرزانة والثبات وغير ذلك.

الفصل الثالث: تناول هذا الفصل "يذبل" وجماليات المكان والصورة، وقد جاء في ثلاثة مباحث،**الأول**: بحث في "يذبل" ودلالة المكان، وقسّمه إلى مكان حقيقي، ومكان متخيل، وتناول في المكان المتخيل: المكان المفترض أو المتوقع، والمكان المتخيل الرافض، والمكان المتخيل الآمن، والمكان المتوحش، والمكان التشبيهي، ثم جاء **المبحث الثاني** في "يذبل" والصورة متحدثًا عن تحريك الساكن، وأساليب صورة "يذبل" التي انقسمت إلى التشخيص والتجسيد.

أما **المبحث الثالث** فتناول "يذبل" بين الرمز والتأثير، فتحدث عن جبل "يذبل" بوصفه رمزًا، ثم بحث في التأثر بين الشعراء فيما تناولوه من معانٍ وتصوير.

الخاتمة: عرضت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وأعقبها ثبت بأهم المصادر والمراجع. والله من وراء القصد.

تمهيد:

"يَذْبُل": "بفتح أوله، وإسكان ثانيه: بعده باء معجمة بواحدة. قال يعقوب: "يذبل": جبل، طرف منه لبني عمرو بن كلاب، وبقيته لباهلة مُليل وعراض، قال يعقوب: ويقال له: يَذْيُلُ الجُوع، كأنه أبداً مجدب"(١)، وقال الأصفهاني: "و"يذبل" لبني قشير"(٢)، وفيه أيضًا "قال الأصمعي: "يذبل" والقعاقع وابنا شمام لباهلة"(٣).

قال أبو زياد: "يذبل" جبل لباهلة مضارع ذَبَل إذا استرخى، وله ذكر في شعرهم(٤)، و"يذبل": جبل في طريق اليمامة من أرض نجد، معدود في نواحي اليمامة، فيما قيل(٥).

---

(١)عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ج٤، ص ١٣٩١، ١٣٩٢.

(٢) الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ٢٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٤)ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت:٦٢٦ه)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ه م٥، ص ٤٣٣.

(٥)المرجع السابق، م١، ص ١٢٨.

"وعماية و"يذبل". جبلان بالعالية"(١)، وهو جبل مشهور الذكر بنَجد في طريقها(٢)، وعدّ "الهمداني" جبل "يذبل" من الجبال المشهورة عند العرب المذكورة في أشعارهم(٣).

وقال عن "يذبل": "ثم "يذبل" فأول مياهه القراد وحليمة والعطائية ماء في بطن السرَّة والبجادة واليتيمة مقابلتان لزابن عماية"(٤).

وهنا لا بد من ذكر مياه "يذبل" التي ذكرها "الهمداني"، وتتالت المعاجم في ذكرها، ولعل أولها "القراد"، وقد تعدل اسمها قليلاً في الوقت الحالي إلى "القراده" بالهاء، وتحدث عنها "سعد بن جنيدل" بقوله: "القُرَادَةُ: بقاف مثناة مضمومة وراءٍ مهملة بعدها ألف ثم دال مهملة

(١) المرجع السابق، م٤، ص ١٥٢.

(٢) المرجع السابق، م٥، ص ٤٣٣، وينظر: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت: ٧٣٩ه)، مراصد الطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ه، ص ١٤٧٦.

(٣) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط١، ١٤١٠ه، ص٢٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦١.

بعدها هاء، على لفظ مؤنث القراد: ماءٌ عذب يقع في غربي هضبة صَبْحَا، يدفع في السرة، وهو من مياه قبيلة قحطان"(١).

وقال عن "حليمة" التي تسمى الآن "حُلَيْمين": "حُلَيْمِينُ: بحاءٍ مهملة مضمومة ولام مفتوحة بعدها ياءٌ مثناة بعدها ميم ثم ياءٌ ثانية بعدها نون، على لفظ التصغير: ماءٌ قديم يقع في هضبة صبحا "يذبل" في بلاد قبيلة قحطان...وهو الذي ذكر في كتب المعاجم باسم حليمة"(٢).

قال الأصفهاني: والينكير لبني قشير، جبل طويل، و"يذبل" بين "الينكير"(٣)

---

(١) سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٨ه، ق ٣، ص ١٠٦٢، ١٠٦٣.

(٢) المرجع السابق، ق ١، ص ٤٠٦.

(٣) الينكير هو جبل مشهور من أشهر جبال جنوب نجد، وهو على محجة أهل الفلج (الأفلاج) إذا أرادوا ضرية، وليس بعيدًا عن "يذبل" (صبحا الآن) يقول مريزيق بن صالح اللبيني القشيري:

يمرون بالينكير لايعرضونه وفيه لهم لو يعلمون صديق

(هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، ترتيب: حمد الجاسر، ط١، ١٤١٣ه، انظر: ص٣١٠، ٨٣٥، ١٥٥٩، ١٦٤٤)

وهو يعرف الآن بالإنْكير: بكسر أوله، وثانيه ونون موحدة ساكنة، ثم كاف مكسورة، ثم ياءٌ مثناة ساكنة بعدها راءٌ مهملة، وهو جبل أشهب كبير، يقع جنوب غرب العرض في غربي السرداح (شمالاً من حصاة قحطان –عماية سابقًا)، ويقع بالنسبة لهضبة صبحا صوب مطلع الشمس، غير بعيد منها، =

و"دمخ"(١)وبـــ"يذبل" ماءٌ يقال له: حليمة وبها السلمية(٢).وقال الهجري:

=

بينه وبينها واد يسمى"سر دهيم" وفيه مياه وشعاب، ورسوس، وهو في بلاد قحطان، وقد ذكره أصحاب المعاجم الجغرافية وحددوه ووصفوه باسم"الينكير" بالياء في أوله بدلاً من الهمزة يقول الشاعر:

لَقَلت من الينكير أعذب مشربا وأبعد من ريد المنايا من الحشر

(المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، ق١، ص ١٨٠، ١٨١) .

(١) دمخ: بدال مهملة مفتوحة وميم ساكنة وخاءٌمعجمة فوقية: جبل أحمر كبير واسع، له مناكب عالية، وفيه مياه وأودية ودارات، وله شهرة في أخبار العرب وأشعارهم، قديمًا وحديثًا، معروف بهذا الاسم قديمًا، ولم يتغير، يقع غرب عرض شمام، وشرق العلم.(المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد،مرجع سابق، ق١، ص ١٨٠، ١٨١) ويقع غربًا من صبحا ""يذبل" سابقًا" وقد اقترن مع "يذبل" في أشعار العرب مثل قول "الراعي النميري:

لَعَمرُكَ إنَّ العاذِلاتِ بِـ"يذبل" وَناعِمَتَي دَمخٍ لِيَنهَينَ ماضِيا.

ديوان الراعي النميري، تحقيق: راينهرت قابيرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٤٠١ه، ١٩٨٠م، ص ٢٨٥، وينظر: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت: ٥٩٧)، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، م٦، ص ٦٥.

(٢) الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

حُليمة ماءٌ بـــ"يذبل" بضم الحاء(١).

وقال البكري: حُليمة: بضم أوله، على لفظ التصغير: موضع تلقاء "يذبل"، قال ابن أحمر:

تتبـــع أوضـــاحًا بســـرة "يـــذبل" وترعى هشيمًا من حليمة باليا (٢)

هكذا ثبتت روايته عن أبي علي في شعر ابن أحمر، وكذلك نقلتـــه مـــن نوادر ابن الأعرابي بخط أبي موسى الحامض، وهو قول الراجز:

كأن أعناق المطيِّ البُزْلِ

بين حُلَيْمَات وبين الحَبْلِ(٣)

من آخر الليل جُذُوعُ النَّخْلِ

جَمَعَ حليمة وما يليها، فقال حليمات.

وقال ابن دريد في الجمهرة: حَلِيمة: موضع. هكذا صح عنده، بفتح الحاء وكسر اللام. قال: ويوم حليمة: يوم مشهور من أيام العرب. فظاهر قوله

---

(١) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، ترتيب : حمد الجاسر، ط١، ١٤١٣ه، ق٤، ص ١٣٩٨.

(٢) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٦٥، وينظر: هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ق٤، ص ١٣٩٨، وينظر: ق٣، ص١٤٩٣.

(٣) في معجم البلدان، م ٢، ص٢٩٦: (الجبل).

أنه منسوب إلى هذا الموضع(١)، وفي هامش كتاب "الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري" ورد تعليق المحقق على موطن حليمة أنها موضع كانت فيه وقعة حليمة، وهو تلقاء "يذبل"(٢).

ويقول "سعد بن جنيدل" بأن هذا الماء واقع في شعب في هضبة "يذبل" (صَبْحَا) يسمى باسمه يقولون له: شعيب حُلَيمين، وهو في ناحيتها الجنوبية وسَيْلُه يدفع في بطن السرة،(٣)، وهذا الاسم لا يزال نفسه والوصف نفسه.

و"**يذبل**": جبل يعرف في الزمن القديم بهذا الاسم، وموقعه في عالية نجد الجنوبية، وقد تغير اسم هذا الجبل، ولم يعد يذكر بهذا الاسم، ويسمى اليوم "صَبْحَا" وهو واقع بين الحصاة وعرض ابنى شمام؛ وصبحا: جبل أحمر رفيع، وتسميته صبحا تسميةٌ حديثة، حدث عند توغُّل القبيلة التي يقال لها مطير في نجد وهم علوى وبرية، وكان قوم من علوى يستوطنون تلك الناحية عند الجبل المسمى "يذبل"، وهو جبل أحمر أصبح المنظر، فكان فارسهم عند الطعان يقول: خيال صبحا جبلي، ويُطْلِق هذا الاسم على "يذبل"، وتكرر ذلك حتى نُسِي اسمه الأول وصار

(١) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٦٥.

(٢) محمود عمر محمد الزمخشري الخوارزمي(٤٦٧-٥٣٨هـ)، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، ص ١٠٤.

(٣) سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق ١، ص ٤٠٧.

اسمه صبحا(١)، وهذا ما وجدناه حتى هذا الوقت يتناقله الرواة بأن شيوخ مطير كانوا يقولون عند الطعان: (خيال صبحا جبلي)؛ لأن خيولهم كانت صبح الجباه فانتقل الأسم لمقرهم الذي كانوا يسكنونه قبل أكثر من قرنين، وهناك رواية أخرى تقول: أن سبب تحول اسم جبل "يذبل" إلى "صبحا" أنه يتلألى حينما تشرق عليه الشمس، ويكون أصبح المنظر. "فصبحا اليوم هو الجبل المشهور في عالية نجد الجنوبية، الذي كان يسمى "يذبل" فيما سبق"(٢)، ويؤكد "سعد بن جنيدل" على ما ذكره "محمد بن بليهد" بقوله: "إذ إن تحديد "يذبل" في كتب المعاجم الجغرافية ينطبق تمام الانطباق على صبحا"(٣)، ونجد "عبد الله بن خميس" يؤكد على ذلك في قوله: "وهناك جبل في العالية يدعى الآن (صبحا) من أكبر جبال نجد، وأبرزها وتحته الآن بليدة لطائفة من قحطان، وهذا الجبل خارج عن حدود اليمامة"(٤).

صَبْحَا: بفتح الصاد المهملة ثم باءٌ موحدة ساكنة بعدها حاءٌ مهملة ثم ألف: هضبة حمراء كبيرة، معترضة من الجنوب إلى الشمال،

---

(١) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، ط٣، ١٤١٨ه، ج١، ص ٢٤.

(٢) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج١، ص ٢٥.

(٣) سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق ٢، ص ٨٣٤، وينظر: ق ٣، ص ١٠٦٣.

(٤) عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، طبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، ط١، ١٣٩٨ه، ج٢، ص٦٧.

ذات لون ذهبي متلألئ، ورعان عالية وقمم متسامقة، فيها مياه في كل جهاتها(١)، وتقع صبحا شمال وادي السره، وجنوب الخضر، وشرق حلبان، وغرب الوجيه، وهي مدينة بها عدد من قبائل قحطان، وكانت قديماً تسمى ("يذبل")(٢).

وقد ورد في معجم البلدان باب الثاء والهاء ومايليهما عن(ثهلان)، وقال: محمد بن إدريس ابن أبي حفصة دمخُ ثم العرجُ ثم "يذبل" ثم ثهلان كل هذه جبال بنجد، وأنشد لنفسه:

ولقد دعانا الخثعمي فلم يزل يُشْوى لدَيه لنا العبيط وينشل

من لحم تامكة السَنام كأنها بالسيف حين عدا عليها مجدل

ظل الطهاة بلحمها وكأنهم مستوثبون قطار نمل ينقُل

وكأن دمخ كبيرة وكأنما ثهْلاَنُ أصغَرُ رَيدَتيه و"يذبل"(٣)

ويقول "امرؤ القيس" في معلقته المشهورة:

---

(١) سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق ٢، ص ٨٣٤.

(٢) حمد فهد جنبان القحطاني، مواطن التعريف في منطقة العريف، دار المأمون، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٩ه، ص ٩٨.

(٣) ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مرجع سابق، م ٢، ص ٨٨.

فَيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِـ"يذبل"(١)

ويقول "النابغة الجعدي":

فَإِن كُنتَ تَلحاهُ لِتَنقُلَ مَجدَناً لِسَبرةَ فانقُل ذا المناكِبَ "يذبل"(٢)

ويقول مقدار بن بختبار أبو الجوائز المطاميري:

يَمَّمتهُ أن عثرت بي نكبةٌ لو عثرت بـ"يذبل" لم يبنِ (٣)

وقد اتخذ الشعراء من معاني "يذبل" منابع لتصويره في أشعارهم، فأقاموا جسرًا بين المعاني الأخلاقية والصفات الطبيعية لهذا الجبل.

ويذكر "كندة بن خالد العجلاني" لـ"هند بنت الغطريف العجلانية" يوم عشية "يذبل" في قوله:

---

(١) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ص ١٩.

(٢) ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٣) عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، وجميل سعيد، ١٣٧٥ه، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٢١٠.

سلي حائلاً عني عشية "يذبل" فقد راء مما قد لقيت يقين

عشية قالوا: جُنَّ سبحان ربنا وما بي ورب الراقصات جنون (١)

(١) محمد بن عمران المرزباني (ت:٣٨٤ه). أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني، وهلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٥ه، ١٩٩٥م، ص٧٥.

الفصل الأول: علاقة "يذبل" بالموضوعات الشعرية

يتناول هذا الفصل علاقة جبل "يذبل" بالأغراض الشعرية، وكيفية توظيف الشعراء هذا الجبل في أغراضهم، وما علاقته بها؟ وهل غلب استخدامه في غرض على أغراض أخرى؟ كل ذلك سيكشفه هذا الفصل من خلال العرض والدراسة.

المديح

تناولت في رسالة الدكتوراة المديح في الشعر السعودي المعاصر، وتوصلت إلى تعريفٍ للمديح هو أن المديح "نزعة داخلية تنشأ مع الإنسان بالفطرة، وتنساب في دمه جارية بعروقه، فتخفق مع كل نبضة من نبضات قلبه وروحه، وهو تعبير عن شعور تجاه فرد من الأفراد؛ لأجل ذكر محاسنه وفضائله ومناقبه ومآثره، وما له من مزايا ترفعه عن غيره ويعرف بها، وكل ذلك ثناءً عليه وإكبارًا له وإعجابًا بما فيه من الصفات الجميلة والاعتراف بفضله"(١).

ولعل المديح والرثاء يأتيان في مقدمة الأغراض التي تَشَكَّلَ منها اسم هذا الجبل الذي أصبح رمزًا للقوة والدوام والاستمرار، وقد أصبح هذان الغرضان أهم الأغراض التي تناولت جبل "يذبل"، ولعل غرض المديح هو المتمثل الأول في هذا الجانب حيث نرى القيم الخلقية تُشَبَّهُ

(١) حمد فهد جنبان القحطاني، المديح في الشعر السعودي المعاصر- دراسة موضوعية فنية، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، الرياض، ط١، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م، ص ٢٣.

بجبل "يذبل"، وذلك في القوة والشموخ والمنعة والعزة، ومن هذه القـيم: (الحلم والشجاعة).

وقد أكد القدماء على قيم ومعاني المديح التي تكشف لنا أسباره، وتظهر لنا مقوماته ومعانيه، فهذا "ابن طباطبا يعدد الفضائل الإنسـانية التي وجد العرب تمتدح بها في الشعر، وذكر منها الحلم والشـجاعة(١)، وسنتناول كلًّا منهما في موضعه.

الحلم و"يذبل"

نجد علاقة كبيرة لدى الشعراء في ربطهم الحلم عند ممدوحيهم بجبل "يذبل"، وذلك لعظمة هذه الصفة الخُلقية النبيلة في صفات الممدوح انطلاقًا من قوله تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران:١٣٣)، وقد ضُرب المثل بحلم "الأحنف بن قيس" فهو القائل: "ما يسرّني بنصيبي من الذلّ حُمْرُ النَّعَم، فقال له رجل: أنت أعزّ العرب، فقال: إن الناس يَرَوْن الحلمَ ذلاًّ، فقلت ما قلت على ما يعلمون"(٢).

---

(١) محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق د. طه الحاجري، د. زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٢.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦م ، ج١، ص ٢٩١،

وورد بصورة قريبة من الأصل في المصادر التالية: أبو طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم (ت:٢٩١هـ)، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، =

فلعظم هذه الصفة الخُلقية وكبر قدرها عند الممدوحين شبهها الشعراء بجبل "يذبل" في قوته ورزانته وثباته ودوامه، وقد اختلف الشعراء في رسم تصوير ممدوحيهم في هذه المعاني، فـــــــ"ابن الرومي" يقول في مدح "محمد بن الصباح":

وإذا بـــدا مـــلأ العيـــون جلالـــةً فتَظَـــلُّ وهـــي كليلـــةُ اللحظـــان

وإذا هفـــا أهـــل الحلـــوم رســـا بـــه حلـــمٌ يشـــولُ بـــ"يـــذبل" وأبـــان(١)

فالشاعر يصور حلم ممدوحه بصورة خيالية حســية بصــرية، إذ رسم لنا الحلم وجسده فكأنه محسوس لوضعه في كفة ميــزان، وجبــل "يذبل" وأبان في الكفة الأخرى، فشال حلم الممــدوح بــالجبلين، ولعــل استخدام لفظة (شال) أكثر دلالة على الثقل وذلك بالسرعة في ارتفاع كفة جبلي "يذبل" وأبان، هنا دلالة الجزء من الكل، وذلك بعد رسم معادلة بين أنظار ممدوحه من أصحاب الحلم في تصوير مقابل عندما يهفو حلمهــم ويصبح ميزانه أقل من وزن جبلي "يذبل" وأبان، مع أنه استخدم الجمــع في قوله:(أهل الحلوم)، وقد قابلهم بحلم ممدوحه الذي رســا بحلــومهم

=

ص٢٩٨، وأحمد بن مروان الدينوري المالكي، أبو بكر (ت ٣٣٣ه)، المجالسة وجواهر العلم، خرج أحاديثه وآثاره ووثق نصوصه وعلق عليه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، جمعية التربية الإسلامية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مج٥، ص١٠٢، ١٠٣.

(١) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٢م، ج٣، ص ٤٤٧.

كلهم، وهنا قابل الجمع والمفرد، وأصبح جزءًا من كُلٍّ في العدد وفي الصورة أيضًا، فقد صور الشاعر صورتين بميزانين في الحلم ذاته في بيت واحد، الأولى جمع بمفرد وهي صفات معنوية، والأخرى معنوي بمحسوسات.

وعلى هذه الشاكلة وقريبًا من المعنى يقول "بهاء الدين زهير" يمدح الأمير "مجد الدين بن إسماعيل بن اللمطي":

وَعَهدي بِهِ رَحبُ الحَظيرَةِ مُجمِلٌ يَغُضُّ وَيَعفو عَن كَثيرٍ وَيَحلُمُ

مِنَ النَفَرِ الغُرِّ الَّذينَ حُلومُهُم يَخِفُّ لَدَيها "يذبل" وَيُلَملَمُ(١)

نلاحظ هنا أن الشاعر استخدم الجمع في تصويره بمديح قومه في قوله (حلومهم)، الذي يجعل الممدوح جزءًا من قومه فلا يستغرب حلم ممدوحه، وقد نجد كفة الميزان لم تشل إنما صار حلمهم أثقل من جبلي "يذبل" و"يلملم"، وهنا استخدم لفظة (يخف)، التي دلت فيها الصورة على عدم السرعة، وإنما الدوام والاستمرار، ويقول "صفي الدين الحلي" في السلطان ناصر الدين محمد:

أَخَفُّ إِلى الحَربِ مِن ذابِلٍ وَأَثقَلُ في الحِلمِ مِن "يذبل"(٢)

---

(١) ديوان بهاء الدين زهير، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٣ه، ص ٢٩٩.

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ص ٢٢٧.

تجلت الصورة عند "الحِلِّي" مباشرة صريحة في ثقل حلم ممدوحه الذي صار أثقل من جبل "يذبل" بمفرده، أما "ابن هانئ الأندلسي" في مديح الخليفة "المعز لدين الله"، فقد كانت الصورة عنده مضاعفة، وذلك في قوله:

إن الزمانَ على كثافة زورهِ ... ليكلُّ عن أعباءِ ما يتحمل

يأتي المُلِمُّ فلا يؤودُكَ حملهُ ... وَلَو انّه من عِبءِ حِلمِكَ أثقل

ولو انّ منْهُ على يمينك أعفَراً ... أو كان منْهُ على شِمالِك "يذبل"(١)

شابهت الصورة عند "ابن هانئ الأندلسي" الصورة التي ذكرناها سابقًا عند "ابن الرومي" وإن كانت على رسم لوحة أخرى، فنجد الشاعر يجعل الزمان والملم بالمكارم من البشر (يكل ولا يتحمل)، ولكن ممدوحه يتحمل هذه الأثقال، وإن كانت تشابه (يعفر و"يذبل")، ثم يرسم تصوير هذه الجبال في ثقلها بصورة بصرية فضائية، وكأنها صغيرة خفيفة، وهنا دلالة على القوة، وتحمل الممدوح إذ يمسك إحداهما بيمينه والآخر بشماله، ولكنه في قوته أقوى منها وأكبر، وهذا ما أراد أن يصوره الشاعر، فبقوته مع هذه الجبال العظام يستطيع أن يتحمل بحلمه هذه الأعلام الجبلية التي أصبحت رمزًا بثقلها وقوتها.

(١) ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠ه، ص ٢٨٦.

وقد نحا الشعراء في هذا التصوير منحىً آخرًا فتشكلت من شاعر إلى آخر، ولكنها تصب في قالب القوة والثبات، فنجد "محمد بن أحمد القرشي الأموي المعاوي المشهور بـ(الأبيوردي) يقول في مديح له:

وتَنْضَحُ كفّاهُ نَجيعاً ونائلاً تَدَفُّقَ نائي الحَجْرَتَيْنِ رُكامِ

بحِلْمٍ إذا الخَطْبُ استُطيرَتْ لهُ الحُبا رَماهُ برُكْنَيْ "يذبل" وشَمامِ(١)

فالشاعر يصور الحلم عند ممدوحه بالقوة والثبات، وذلك عندما جسده ورمى به أقوى ركني جبلين يضرب بهما المثل في الصلابة والكبر، وقد توازت القوة بين الحلم وركني "يذبل" وشمام، ونجد هذه الصور تتقارب، فيقول "محمد بن نصر الله بن الحسين بن عنين الدمشقي الأنصاري" يمدح "فخر الدين الرازي" وسيرها إليه من نيسابور إلى هراة:

وبه يبيتُ الحلمُ معتصماً إذا هزّتْ رياحُ الطَّيشِ ركني "يذبل" (٢)

ولكن صورة الحلم أصبح لها دلالة أخرى، وإن رمز بقوته وثباته إلى اهتزاز ركني جبل "يذبل" عند الغضب والصراع، فالحلم يبيت معتصمًا، وهنا صورة معنوية أكد على قوتها بالصورة الحسية التي رمز

(١) ديوان محمد بن أحمد القرشي الأموي الأبيوردي، طبع في المطبعة العثمانية في لبنان، ١٣١٧ه، ص ٣١١.

(٢) ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٢٦٦٥.

لها باهتزاز جبل "يذبل"، ولعل هذه الصورة المعنوية تدل على الدوام والبقاء الذي ثبت لها بالمبيت، وهنا دليل على الاستمرار وذلك في حالة الدائرة التي ربما ليس يقترب منها الأمل أو الخلل في الخروج منها، وهنا صورة معنوية رائعة أكد عليها الشاعر بالصورة الحسية، وهي اهتزاز ركني جبل "يذبل" من كبر المصيبة وقوة الغضب، كما نجد أن الشعراء أضفوا –على هذه الصورة في وصف ممدوحيهم بالحلم– صورة حسية خيالية تؤكد قوة هذا الحلم وثباته ودوامه لدى ممدوحيهم، ومن ذلك قول "محمد بن محمد بن بن علي بن رستم أبي سعيد" في "مؤيد الدولة":

وحلم لديه ركن "يذبل" ذابل وعزم لديه فارس الخطب راجل(١)

وهذا "أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي" يقول في مدح "القاضي بن حمدين":

وثابت حلوم ربما زال "يذبل" وزال سهيل وهي غير ثوائب(٢)

---

(١) عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت: ٤٢٩ه)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ه، ج٣، ص ٣٦٠.

(٢) علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م، القسم الثاني، المجلد الأول، ص ٧٥٠.

فلثبات هذا الحلم عند ممدوحهم نجد ركن "يذبل" "يذبل" ويصغر ويضمحل، وحلمه باقٍ، والآخر يزول جبل "يذبل" ونجم سهيل والحلم ثابت لدى ممدوحه.

وقد تعددت هذه الصور في هذا المبحث إذ نجدها تتشكل من معنوية إلى حسية والعكس، كما نجد الجمع والمفرد ودخول الضمائر في لفظة (الحلم) فوردت في الشواهد السابقة على النحو الآتي: (الحلوم- حلمك- بحلم- الحلم- ويحلم-حلومهم- حلوم -وحلم)، ومع ذلك فقد تشكل المعجم في رسم هذه الصورة مع ربطه بين الحلم وجبل "يذبل"، فنجد "يذبلًا" بمفرده مرة واحدة ومقترنًا بجبالٍ أخرى أربع مرات هي: (أبان-ويلملم-ويعفر-وشمام)، ومرة يقترن بنجم سهيل، كما وجدنا في رسم صورة هذا المبحث إطلاق الكمال والجزء، فورد "يذبل" مفردًا خمس مرات، ومضافًا ثلاثًا، وربما تضفي صيغة الإضافة في هذه المواطن عليه القوة حيث تدل على الجزء الأقوى في ورودها "ركن"؛ لأن ركن الشيء يكون هو أحد الأسس في القوة والبناء، كما وجدنا تعدد ألفاظ ودلالات المعجم في الربط بين هذه الصور مثل: (رسا-يشول- يخف- أثقل- رماه- اهتز-الذبول- الزوال)، فلفظتا (رسا -أثقل) كانا للحلم أما (الشولان، والخفة، والرمي، والاهتزاز، والذبول، والزوال) فكانت لجبل "يذبل"، ولعل هذه الألفاظ -بمجملها- تدل على الحركة وعدم الاستقرار عكس ما هدفت إليه في ربطها بين الحلم وجبل "يذبل"، فنجد الحلم أثقل من جبل "يذبل" في أربعة مواضع، ومستويًا معه في موضعين، وفي موضعين نجد الحلم ثابتًا وجبل "يذبل" مرة يزول وأخرى يضمحل و"يذبل".

الشجاعة

تحدث "قدامة بن جعفر" عن أقسام الشجاعة وذكر منها: الحماية، والدفاع، والأخذ بالثأر والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الأقران والسير في المهامه الموحشة، والصبر على الملمات، ونوازل الخطوب، والوفاء بالإيعاد(١).

وتعد صفة الشجاعة من صفات الممدوحين التي ربطها الشعراء بجبل "يذبل" سواءً أكان وحده أم مقرونًا بغيره، وذلك لثباته وقوته، ومن ذلك قول "الشريف الرضي" يمدح أباه:

إذا ما اِحتَبى يَومَ الخِصامِ كَأَنَّما يُحَدِّثُنا عَن "يذبل" وَأبانِ(٢)

ويقول "صرّدرّ" في مديح له:

كأنّ الحُبَى يومَ تَعقادِها عليه على "يذبل" أو حِراءِ(٣)

---

(١) قدامة بن جعفر، أبو الفرج، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ص ٩٨.

(٢) ديوان الشريف محمد بن أبي أحمد الحسين الملقب بالرضي الموسوي العلوي، تصحيح: محمد بن سليم اللبابيدي، طبع في المطبعة الأدبية في بيروت، سنة ١٣٠٩ه، ج٢، ص ٩٠٨.

(٣) ديوان صردر، علي بن الحسن بن علي بن الفضل، تحقيق: محمد سيد علي عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ه، ص ١٥٣.

ويقول "صردر" في مدح "الوزير كمال الملك أبي المعالي عبد الله عبد الرحيم":

ثَبْتُ الجَنانِ كأنّما في بُرده -يومَ الزعازع - "يذبل" ويلَملَمُ(١)

فـ"الشريف الرضي" يصف حالة ممدوحه؛ حيث كنى "بالحبى" عن الشجاعة والصبر والحلم وشدة التحمل، فيشبه الشاعر جميع صفات القوة بالحديث عن جبلي ("يذبل"، و أبان) ، وهنا تظهر صفة التحمل وقوة السمك الذي لم يثر في الممدوح شيئًا من الخوف والضعف فهو لم يبالِ بالحوادث، وربما قصد الشاعر تصوير الممدوح في قوته وتحمله بثقل جبل "يذبل" وأبان، وكبرهما وعدم اهتزازهما، فمهما أصابهما من مصائب لم يتغير، ولم يتأثرا بالحوادث منذُ خُلقت الدنيا، فهذان الجبلان باقيان كما هما، تتجدد رؤيتهما ويستمر لمعانهما.

أما "صردر" فنجده يشبه ممدوحه بجبل "يذبل" و"حراء" عند احتباء الرجال في الخصام وشجاعتهم في المعارك وشدة تحملهم وقوة مداركهم، وفي مديح "صردر" لـ"لوزير أبي المعالي" نجده يركز على ثبات قلب ممدوحه في الحرب والمعارك، ويشبه قلبه في الثبات بوجود جبلي "يذبل" و"شمام" في جوفه.

(١) ديوان صردر، المرجع السابق، ص ٥٠.

الرثاء

سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بيِّن الحسرة إن كان الميت ملكًا أو رئيسًا كبيرًا؛ لذلك فإن صورة "يذبل" هنا تدل على عظمة المسمى ومكانته، ويحدثنا ابن رشيق القيرواني عن بعض الظواهر، فيصف الرثاء منذ العصر الجاهلي بقوله: "ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة، والأمم السابقة، والوعول الممتنعة في قلل الجبال، والأسود الخادرة في الفياض، وبحمر الوحش المتفرقة بين القفار، والنسور، والعقبان، والحيات؛ لبأسها وطول أعمارها، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر"(١)، ويرى وهب أحمد رومية: أن الشاعر الجاهلي حين رثائه لغيره كان -في الوقت نفسه- يرثي الحياة الإنسانية نفسها(٢).

ولما كانت حياة الصحراء بأوديتها وجبالها وصحرائها هي حياة العربي وبيئته التي يعرفها- كانت هذه الأماكن هي التي يذكرها متيمنًا أشهرها وأقواها وأكبرها، وإلا قصد ما يعرفه في دياره التي يعتز بها أيضًا، وهنا نلمح جبل "يذبل" شامخًا لشهرته وقوته ومكانته؛ فهو الأولى أن يذكر مقرونًا باسم المتوفى.

---

(١) الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر، بيروت، م٢، ص١٥٠.

(٢) وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد٢٠٧، مارس ١٩٩٦م، ص٢٧١.

ولعل الصبر هو الصفة التي تمثل بها الشعراء عند ممدوحيهم في الرثاء، وذلك لتحمل الشدائد، والصبر على الكرب، ومن ذلك قول "صردر" يعزي "أبا علي ابن فضلان":

وعادتــــك الصـــــبرُ إن تعقعـــتْ صـــــواعقَهنَّ الخطـــوبُ الجِســـامُ

تمـــرُّ عليـــك مـــرورَ الريـــا ح زاحمهـــا "يـــذبل" أو شَـــمامُ(١)

ففي تعزية الشاعر ممدوحه يذكر صفة الصبر والتحمـــل، ولكنـــه أوردها بصورة حسية بصرية حركية، فجعل عادته الصبر، وربطه بوقت المصائب التي وصفها بالصواعق، وهنا أضفى صورة سمعية تمثلت في صواعق الرعد التي شبهها بقرع المصائب، وذلـــك فـــي قـــوة صـــوتها وهولها، ولكن الشاعر ترفّع عن إسقاط لفظة ضرب الصواعق الرعديـــة في المصائب إلى لفظة "قعقعة" وهي دلالة على تصـــغير المشـــبه بـــه، وكونها صورة أرضية، ولكن وجه الشبه ظهر بينها.

والشاعر صور هذه المصائب وهي تمر على ممدوحـــه مـــرور الرياح، وهنا يمكن أن نؤوّل الصورة بجانبين، الأول: السرعة، والثاني: الكثرة، دلالةً على كثرة المصائب ومرورها على ممدوحـــه باســـتمرار، وربما تجتمع الصورتان: السرعة والكثرة، ولكن مزاحمة "يذبل"، وشمام" أضفت لها قوة هذه الرياح التي شبه الشاعر المصائب بمرورها، ولكـــن في مزاحمة هذين الجبلين تصبح الرياح أقوى سرعة ودفعًا، وربما تظهر

(١) ديوان صردر، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

الصورة برمزية جبل "يذبل" وشمام بالممدوح، حيث شبهه بالجبال التي زاحمتها المصائب التي تمر به مسرعة كالرياح.

وهذا "ابن معتوق الموسوي" يرثي المولى السيد حسين بن المولى السيد خان سنة ١٠٨٠ه شاكيًا إلى الله هذه المصيبة التي رماهم الدهر بها مشبهًا كبرها وعظمها مطلقًا عليها صفة حسية، وذلك بتشبيهه قوة تحملهم وعظم هذه المصيبة بأنها لو رميت على جبل "يذبل" الذي عرف بالقوة والصلابة والثقل لتزلزل وتزعزعت جوانبه، وهذا دليل على عظم المصاب وعدم تحمل فراق من توفي، وتجلَّى ذلك في قول "ابن معتوق":

إلى اللّهِ نَشكو فادِحاتِ النّوائِبِ فقد فجَعَتْنا في أجلِّ المَطالبِ

رمَتْنا برُزْءٍ لو رمَتْ فيه "يذبل" لزُلزِلَ منه راسِخاتُ الجوانِبِ(١)

وعلى هذا النهج يقول "الشوكاني" راثيًا "السيد علي بن إبراهيم بن عامر":

هَبْ أنَّ بَدْرَ التمِّ يَوْماً يَأفُلُ أوْ أنَّهُ يَهْوِي السِّماكُ الأعْزَلُ

أوْ أنَّ بَحْراً غَاضَ مِنْهُ ماؤُهُ أوْ دُكَّ رَضْوَى أوْ تَصَدَّعَ "يذبل"(٢)

---

(١) ديوان شهاب الدين الموسوي بن معتوق، ضبطه: سعيد الشرتوني اللبناني، طبع في بيروت بالمطبعة الأذيبة سنة ١٨٨٥م، ص٢١٩.

(٢) ديوان الشوكاني (ت: ١٢٥٠ه)، أسلاك الجوهر، تحقيق: حسين عبد الله العمري، طبع في دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٦ه، ص ٢٨٤.

فـ"الشوكاني" يرمز للمتوفى بالبدر الذي يأفل ويختفي، ويرمز له بالبحر الذي يغيض ماؤه، وباندكاك رضوى وتصدع جبل "يذبل"، وهنا استخدم الشاعر تصويرًا خياليًّا قارب فيه بين استحالة المحسوسات، وأطلق عليه صفات وتصويرًا بصريًّا متحركًا لا يليق بالواقع، وذلك لتشبيهه وفاة صاحبه بهذا التصوير غير الواقعي، فكأنه يقول: إن موته مثل اختفاء القمر وغَيْضِ البحر واندكاك رضوى وتصدع "يذبل"، وقد يقصد الشاعر بهذا الرمز تشبيهيًّا لصاحبه؛ حيث يجعله يشبه البدر في جماله، والبحر في كرمه، ويشبه "رضوى" و"يذبل" بقوته واتزانه، ومن الواضح أن الشاعر قصد أن يبيّن قوة ("يذبل") فحين دُكَّ (رضوى) لم يُدَكّ "يذبل"، وإنما تصدع، وهذا دليل على مدى قوته وثباته أكثر من كل الجبال.

وهذا "ابن حمديس" يقول في رثاء زوجته على لسان ولده عمر:

يا ابن أمي إني بحكمك أبكي فَقْدَ أمي الغداةَ فابكِ بحُكمي

قُسِمَ الحُزْنُ بينَنَا فثبيرٌ لك قسم وَ"يذبل" منه قسمي(١)

فالشاعر يقسم الحزن بينه وبين ابنه "عمر" حيث جسم الحزن وجعله قسمين: قسمًا يوازي جبل "ثبير"، والقسم الآخر يوازي جبل

(١) ديوان عبد الجبار بن أبي بكر محمد بن حمديس، الصقلي السرقوسي، تصحيح: جلستينو سكياباريللي، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٧م، ص ٤٢٦.

"يذبل"، وهنا يظهر الشاعر شدة حزنهما والأثر البالغ عليهما من تجسيم هذا الحزن وتحويله إلى محسوس.

الهجاء

يعد الهجاء من الأغراض المتناولة في رسم صورة "يذبل" عند الشعراء وإن اقتصر ذلك على شعراء النقائض وما شابههم من الشعراء الهجّائين، ومن ذلك ما ورد في قول "جرير" حينما أجاب "الفرزدق":

أعددتُ للشعراءِ سمَّاً ناقعاً ... فسقيتُ آخرهمْ بكأسِ الأولِ

لما وضعتُ على الفرزدقِ ميسمي ... وعلى البعيثِ جدعتُ أنفَ الأخطلِ

أخزى الذي سمكَ السماءَ مجاشعاً ... وبنى بناءكَ بالحضيضِ الأسفلِ

بيتاً يحممُ قينكمْ بفنائهِ ... دنساً مقاعدهُ خبيثَ المدخلِ

ولقدْ بنيتَ أذلَّ بيتٍ يبتنى ... فهدمتُ بيتكمُ بمثلي "يذبل"(١)

جرير هنا يهجو الفرزدق مفتخرًا بقدراته وقوته الشعرية في قوله: (أعددت للشعراء)، وكان هذا الإعداد يقوم على الهجاء في سقياه

(١) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت: ٥٩٧)، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، م٥، ص ٢٧، ٢٨، وينظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص ٩٤٠.

لهم جميعًا سمًّا ناقعًا مؤكدًا على ذلك بوضع الميسم، وهو آلة حديدية تستخدم للكي–وخاصة للبهائم– كي تصبح علامة فارقة يعرف بها قطيع الإبل أو الغنم لصاحبه فتصبح علامة خاصة في كل قطيع، والشاعر استخدم كلمة الميسم ليبين سيطرته وقوته على صاحبه، وهنا تشبيهان: الأول يرمز إلى أن صاحبه يشبه هذا القطيع وليس لديه قوة، والآخر إثبات أن هذه العلامة التي استخدمها أصبحت فارقة فيه، فهذا الهجاء مثل الكي الذي لا يزول عن صاحبه مؤكدًا على ذلك بالأبيات التالية؛ حيث لمزه بضعف البناء وأصل القبيلة فجعل بناءه بالحضيض الأسفل، فهو ليس من علية القوم، ثم يستمر "جرير" في هجاء "الفرزدق" بهجاء قومه، ويؤكد على أنه كشف أمرهم وضعفهم ودناءتهم بقوله: (هدمت بيتكم)، مقابلًا ذلك بالفخر لقومه في نفس الشطر بقوله: (بمثلي "يذبل")، وكأنه يقول: قومي عالٍ شأنهم يشبهون جبل "يذبل"، وهنا برز ضعف قوم "الفرزدق" بالهدم ، كما برز قوة قوم "جرير" بتشبيههم بجبل "يذبل"، بل إنه يتعمق في الصورة، فيقول: إن هدم بيت الفرزدق وقومه ليس بصخرة ضخمة، وليس بجبل، وإنما هدمه (بمثليّ يذبل)، أي: بمثل "يذبل" مرتين مما يدل على أنه لن تقوم لبيتهم قائمة بعد ذلك، فقد هدمه بمثليّ جبل "يذبل" الذي هو من أقوى الجبال وأكبرها.

وقد صور جرير قوم "الفرزدق" بالبيت وأطلق في هجائه صفات ذلك المحسوس بقوله: (البناء، الحضيض الأسفل، بيتًا يحمم، قينكم بفنائه، دنسًا مقاعده، خبيث المدخل، أذل بيت)، وقد برزت صفات المحسوس المجسم في تشبيه البيت من (البناء . الفناء . المقاعد. المدخل).

وفي مثال آخر نجد "الفرزدق" يهجو بني أسيد، ويذكر أبا حاضر في قوله:

أبا حاضِرٍ قَنَّعتَ عاراً وَخِزيَةً أُسَيِّدَ ما أرسى حَراءٌ وَ"يذبل"

وَقَبلَكَ ما أخزى تَميماً أُسَيِّدٌ وَقَنَّعَهُم ما لَيسَ عَنهُم يُحَوَّلُ(١)

فالفرزدق يبين أن أبا حاضرٍ هو الذي قنّع العار والخزي بني أسيد، وقد أصبح ثابتًا مؤكدًا مثل ثبات جبلي حراء و"يذبل"، اللذين لا يمكن أن يزولا من محلهما ولا يتغير مكانهما، وهنا تشبيه أكد فيه الشاعر على ربط المعنويات وهي العار والخزي بالمحسوسات، وهي ثبات جبلي حراء و"يذبل".

الغزل

يعد الغزل من أهم الأغراض التي ظهر فيها اسم جبل "يذبل"، وقد تكرر هذا الجبل في الشعر العاطفي عند كثير من الشعراء وبصور متعددة، ولعل الصبر والتحمل اللذين يلاقيهما الشاعر من فراق محبوبته هما الصفتان اللتان رسم بهما الشعراء مقارنة تحملهم وصبرهم بثقل جبل "يذبل"، ومن هؤلاء الشعراء "ابن المعتز" في قوله:

أصرحُ بالشكوى، ولا أتأولُ إذا أنتَ لم تجملْ فلمْ أتجملُ

(١) ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ، ص ٤٤٥.

وإني على ما كانَ منك لصابرٌ وإنْ كان منْ أدناه "يذبل" "يذبل"(١)

فنجد فخامة الصبر وكبره وشدة التحمل عند "ابن المعتز" على محبوبته، الذي قال: إن أدناه وأقله -أي الصبر- يجعل جبل "يذبل" يضمحل، وفي ذلك تعبير عن صورة حالته التي جسد لها صفات معنوية بصورة حسية بصرية، فكأن جبل "يذبل" من شدة الصبر والتحمل زهرة تذبل وتضمحل، بل ليس من الصبر كله إنما في جزء منه. وهذا "الصاحب بن عباد "يرسم صورة الفراق وشدة تحمله بقوله:

حَدقُ الحِسانِ رَمَيننَني بِتَمَلمُلِ وَأخذنَ قَلبي في الرَعيلِ الأوَّلِ

غادَرنَني وَإِلى التفَزُّعِ مَفزَعي وَتَركنَني وَعلى العويل مُعَوَّلي

لَو أنَّ ما ألقاهُ حُمِّلَ "يذبل" قَد كانَ "يذبل" مِنهُ رُكنًا "يذبل" (٢)

فالخطاب مباشر لمحبوبته التي رمته وأخذت قلبه وغادرته وتركته وهو في تفزع وعويل، فيصور حالته بعد هذا الفراق بصورة خيالية مستخدمًا "لو" التي تفيد امتناع الأول لامتناع الثاني؛ حيث بين أن همومه

---

(١) أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، ص ٢٥٧.

(٢) ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار القلم، بيروت ، مكتبة النهضة، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ، ص ٧٨.

عظيمة لا يتحملها جبل "يذبل"؛ لأنه لو حملها لَذبُل وصَغُر. وهنا يظهر تصغير هذا الجبل وجعله جزءًا من الصورة الحقيقية لجبل "يذبل"، ولكن لدعم هذا التخيل جعله ركيزة أساسية في هذا الجبل، وهنا كناية عن كثرة الهموم، ولكن يظهر في هذين النموذجين التصغير لهذا الجبل فنجد في الأول الذبول وفي الثاني جعله جزءًا من الجبل ذاته، فكأنه ركن واحد من أركانه.

ومن الصور المتخيلة التي رسمت "يذبل" في غرض الغزل قول "حسّان بن محمد الجبيبي الإشبيلي:

وذي خطلٍ في نصحه لا أجيزه ... يعاتبني في أن أطلت مقامي

يقيّدني في أرض أندلس التي ... قَصَرْتُ عليها صبوتي وغرامي

فقلت له: إن البلاد بربّها ... لها عند أهل الرعي خير ذمام

إليك فصرفي دون أيسرِ بعضهِ ... إزالةُ ركنيْ "يذبل" وشمام(١)

يؤكد الشاعر على حبه لمحبوبته وعدم استماع العاذل بثبات ركني جبلي "يذبل" وشمام، فالصورة حسية بصرية قامت بدعم هذه المحسوسات التي استحالت إزالتها، وهنا استخدم المكان الحقيقي بصورة متخيلة أطلقها

---

(١) صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات. تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج١١، ص ٢٨٤.

على إزالة الجبل، وذلك للاستدلال بأن حبه إذا أُزيلت هذه الجبال سَـيُزَالُ وجه الشبه، وهو إثبات الحب وصدق العاطفة، وقد شابهت هذه الصورة قول "أبو سفيان بن حرب" في "صعبة أمّ طلحة بن عبيد اللّه" من بنـات فارس، حين تزوّجها "أبو سفيان" فلم تزل به هندٌ حتى طلّقها، فتزوّج بها "عبيد اللّه"؛ وتتبّعتها نفس "أبي سفيان" فقال:

إنـا وصـعبة فيمـا تـرى بعيـدان والـودّ ود قريـب

فـإلاّ يكـن نسـبٌ ثاقـبٌ فعنـد الفتـاة جمـالٌ وطيـب

لهـا عنـد سـرّي بهـا نخـرةٌ يـزول بهـا "يـذبل" أو عسـيب

فيالقصـيٍّ ألا فـاعجبوا فللـوبر صـار الغـزال الربيـب (١)

ويقول "أبو حيان" مصورًا تحمله وصبره علـى محبوبتـه مـا لا يتحمله جبل "يذبل":

تملكـني هـذا الهـوى فكأنمـا بـه نحـو قلـبي مـن دواعيـه نـاتخ

وقد حل بي مـا لـو يحـل أقلـه بـ"يذبل" أمسى وهـو في الأرض سايخ(٢)

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦ه)، عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م، المجلد الرابع، ص ١٠١.

(٢) أبو حيان، الديوان، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، بغداد، ١٩٦٩م، ص١٤٧.

فزوال الصورة متصل بدلالات نفسية تذكي حدة المعاناة، ذلك أن الجبل في هذه الحالة ليس في حاجة إلى أي قوة خارجية تبذل جهدًا في إزالته، وهكذا تتجسد معاني الانهيار الذاتي، والتلاشي من الوجود(١).

وهذا "محمود سامي البارودي" يقول:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى ... بِهِ الْحُبُّ مِنْ جَوْرٍ وَسُلْطَانُهُ أَقْوَى

سَبُوقٌ إِذَا جَارَى لَحُوقٌ إِذَا هَوَى ... غَلُوبٌ إِذَا بَادَى قَتُولٌ إِذَا أَهْوَى

لَهُ سَوْرَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ "يَذبل" ... وَرَضْوَى لَهَدَّتْ "يذبل" وَمَحَتْ رَضْوَى(٢)

فقد جاء بصورة مغايرة، فلم يُضْفِ التخييل المكاني لهذا الجبل من أجل فراق أو وفاء، لكنه رسم صورة محبوبته حتى أصبحت خالدة ثابتة، حيث جعل ركن "يذبل" ينهد ورضوى تنمحي من الوجود، وسَوْرة الحب باقية، ولكنه قال: لو صادمت، و(لو) هنا تفيد الامتناع فاستخدم الشاعر المكان المتخيل من المكان الواقعي، ولعل صورة الحب –التي هي شِدَّةُ الحب وحِدَّتُه– أراد بها الشاعر الكبر والعظمة بقوله "صدمت" التي نتج عنها الانهدام والطمس، فالجبلان اللذان ذكرهما الشاعر من أكبر الجبال والمعالم الجغرافية المعروفة، وهنا تشبيه متخيل قام على تصوير

(١) جريدي بن سليم المنصوري، شاعرية المكان، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) محمود سامي البارودي باشا، ديوان البارودي، تحقيق: علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م، ص٧١٠، ٧١١.

المعنويات بالمحسوسات؛ إذ أصبغ الشاعر على المعنويات صفات المحسوسات، مما جعلها في صورة مجسدة دفع بها جماليات محبوبته.

الوصف

يعد الوصف من الأغراض الشعرية التي تناولت اسم جبل "يذبل"، و"هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع، كأنه يراه، أو يشعر به"(١)، وقد يتجاوز ذلك بالتشبيهات والصور الخيالية، ولعل "المتنبي" أكثر من أبدع في رسم هذه الصورة، فنجده يصف كلب الصيد بقوله:

حَتّى إذا قيلَ لَهُ نِلتَ افعَلِ ... افتَرَّ عَن مَذروبَةٍ كَالأنصُلِ

لا تَعرِفُ العَهدَ بِصَقلِ الصيقَلِ ... مُرَكَّباتٍ في العَذابِ المُنزَلِ

كَأَنَّها مِن سُرعَةٍ في الشمأَلِ ... كَأَنَّها مِن ثِقَلٍ في "يذبل"(٢)

يقول الواحدي في شرح ديوان المتنبي:"حتى إذا دنا الكلب من الصيد قيل له: أدركت فافعل ما تريد فعله من القبض عليه -كشر عن

(١) السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق: لجنة من الجامعيين، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ج٢، ص ٢٦.

(٢) شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ه، ج٣، ص ٣٢٣.

أنياب محدودة كأنها نصول"(١)، وفي شرح البيت الثاني يقول: "لم تصقل هذه الأنياب ولا عهد لها بالصقل وعنى بالعذاب المُنْـزَلِ خطمَـهُ فإنـه كالعذاب المنزل على الصيد"(٢)، وفي شرح البيت الثالث يقول: "أي: كأن الأنياب مركبة في ريح الشمال من خفة الكلب وسرعته في العدو، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد في الجبل جعل الكلب في خفة العدو كـالريح، وفي ثقله على الصيد كالجبل"(٣).

وفي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري يقول: "حتى إذا وصل إلى الغزال، وقيل له: أصبته افعل به ما شئت كشر عن أنيـاب محـددةٍ مصقولة كأنها النصول في الحدة، وهذه الأنياب كانت مصقولة خلقـةً لا بصنعة صيقل، وإنها مركبة في حنك شديد، كل من عضه حطمه، كأنـه عذاب منزل على الغزال... شبه حنكه لسرعته بالشمال، وشـبه شـدقه بـ"يذبل" الجبل المتسع، أي: كأن هذه الأنياب مركبة في الشمال، وشـبه شدة عض الحنك بالجبل، أي: كأن الأنياب من ثقلها مركبة في "يذبل""(٤).

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح الواحدي، طبع في مدينة برلين، سنة ١٨٦١م، ص٢٠٥.

(٢) السابق: ص٢٠٥.

(٣) السابق: ص٢٠٥.

(٤) أبو العلاء المعري، "معجز أحمد" شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ج٢، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م، ص ١١٢، ١١٣.

لذا نجد الشاعر صور أنياب الكلب بصورتين، الأولى: تكشيره عن أنيابه التي شبهها بالنصول في طولها وكبرها، والثانية: عدم الصقل، وهذا دلالة على القوة والحدة والأصالة، ثم ينتقل الشاعر في تصوير هذه الأنياب التي شبهها في الكلب بالريح في السرعة والعدو، وبثقل جبل "يذبل" على الصيد، فهذه الآلة الحادة التي رسمها الشاعر في الكلب تمتاز بالخفة في أثناء الهجوم على الصيد واللحوق به، وبالثقل عند القبض، وهنا صورة متضادة وجه الشبه فيها التمكين والسيطرة والقوة.

ولا يستغرب على "المتنبي" رسم صور خيالية متضادة في وصفه، حيث يقول في وصف خيمة الخليفة التي رمتها الريح:

أيَقدَحُ في الخَيمَةِ العُذَّلُ وَتَشمَلُ مَن دَهرَها يَشمَلُ

وَتَعلو الَّذي زُحَلٌ تَحتَهُ مُحالٌ لَعَمرُكَ ما تُسأَلُ

فَلِم لا تُلومُ الَّذي لامَها وَما فَصُّ خاتَمِهِ "يذبل"(١)

في شرح أبي العلاء المعري لديوان أبي الطيب أحمد المتنبي الذي وضعه بعنوان "معجز أحمد" يقول: "عَذْلُ الخيمة على سقوطها غير نافع؛ لأنها لا تقدر على أن تشمل سيف الدولة مع اشتماله على الدهر، وإحاطته به... وكيف تعلو الخيمة سيف الدولة مع كون زحل تحته؟! وما تسأل الخيمة من العلو عليه أمر محال... ومن لامها على سقوطها فقد

(١) شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوني، مرجع سابق، ص ١٩١، ١٩٢.

سامها أمرًا محالاً، فلها أن تقابله بما هو محال مثله. فتقول: لِمَ لَمْ تجعل فص خاتمه "يذبلًا"؟ الذي هو الجبل، فكما أن هذا محال، فكذلك استقرارها فوق سيف الدولة محال"(١).

فالمتنبي يصف سقوط خيمة الخليفة مناقشًا من قدح فيها ولامَ سقوطها، فهي لم تتحمل البقاء فوق الخليفة الذي شبهه بكوكب زحل، مقارنًا ذلك بمن جعل فص خاتمه جبل "يذبل"، ووجه الشبه استحالة اللوم لتصويره الخيالي الذي عكس به الواقع إلى المبالغة والتهويل. وقد كثرت الشروحات في هذا المعنى، وتعددت، ولكنها تدور حول هذا الأمر.

ومن الوصف الذي تناول جبل "يذبل" قول "ابن هانئ الأندلسي" في مدح "إبراهيم بن جعفر" يصف مجلسًا بناه:

يَنْدى فتنْشأُ في تَنَقُّلِ فَيْئِهِ غُرُّ السحائبِ مُسبِلاً هَطَلانها

وكأنّ قُدسَ و"يذبل" رَفَدا ذُرَى أعلامِهِ حتى رَستْ أركانُها

تَغدو القصورُ البِيضُ في جَنَباتِهِ صُوْراً إليه يَكِلُّ عنه عِيانُها (٢)

فابن هانئ يصف مجلس ممدوحه، ويشبه أعلامه بجبلي قدس و"يذبل"، ووجه الشبه في ذلك قوة قواعده وكبر جوانبه التي أشبهت هذه

(١) أبو العلاء المعري، "معجز أحمد" شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، مرجع سابق، ج٣، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، مصر، ١٣٥٢ه، ص ٧٦١.

الجبال، وهنا دلالة على القوة والثبات والكبر، وقد دعم ذلك بقوله: تغدو القصور البيض صورًا في جنباته؛ لعظمته وشموخه.

الفصل الثاني: الطبيعة وصفات "يذبل"

يتناول هذا الفصل علاقة جبل "يذبل" بالطبيعة، وما ذكره الشعراء من حيوان ونبات، وكيف وصفه الشعراء حيث تميز بالطول والارتفاع والثقل والقوة والثبوت، ونعرض ما تناوله الشعراء من صفات في "يذبل".

المبحث الأول: الطبيعة و"يذبل"

تناول الشعراء جبل "يذبل" بحقيقته وخياله، وتناولوه رمزًا ومجازًا، ومباشرةً وغير مباشرة، وأصبح لجبل "يذبل" في معترك الحقيقة جانبًا من رسم الطبيعة في هذا الجبل، سواءً أكان ذلك من علاقة مباشرة أم رمزية، وقد نفرد تحت هذا المبحث علاقة الحيوان بـ"يذبل"، وما لهذا الجبل من علاقة طبيعية خلابة جعلته يسكن فيه ويروده ويتعايش فيه ويألفه، وذلك بما وقعنا عليه من الشعراء، من تصوير السباع، وأنواع الصيد وغير ذلك، ولعل (الوعل) من أهم أنواع الصيد التي سكنت هذا الجبل.

الوعل

الوَعِلُ: بفتح الواو، وكسر العين المهملة: الأروى...وهو التيس الجبليُّ، والأنثى تُسمى أُروية، وهي شاةُ الوحش، والجمع: أوعال ووعول(١).

---

(١) كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت: ٨٠٨ه)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م، ج٤، ٢١٥.

يعد جبل "يذبل" من جبال شبه الجزيرة الشاهقة والكبيرة التي لها منعة، مما جعلَ الشعراء يجعلونه رمـزًا للقـوة والصـلابة والمناعـة والثبات، وجعلَ الصيد والسباع تتخذه بيوتًا لها ومأوى وحرزًا ومنعـة، ولعل الوعل الذي تحدث عنه الشعراء عامة وعن حماية جبل "يذبل" لـه خاصة من أهم هذه الحيوانات، ومن ذلك قول "الخنساء":

وَقافِيَـةٍ مِثـلِ حَـدِّ السـنانِ تَبَقَّـى وَيَهلـك مَـن قالَهـا

زجـرت فأرسـلتها غربـةً وجمْجمْـت في الصـدر إهمالهـا

نطقـت ابـن عمـرو فسـهلتها ولم ينطـق النـاس أمثالهـا

تَقُـدُّ الذُؤابَـةَ مِـن "يـذبل" أبَـت أن تُفـارِقَ أوعالَهـا

سمعـت بهـا قالهـا الأولـون فقربـت تنطـق أمثالَهـا (١)

الخنساء هنا تجعل قافيتها الشعرية تَقُدُّ -أي تشق- أعلى جبـل "يذبل" الذي عرف بالمناعة والقوة مما جعل الوعل يستوطنها، وقد أثبتت

(١) ديوان الخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو الشريد السلمية (ت: ٢٤) شرح: ثعلب، أبي العباس، أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي (ت ٢٩١ه)، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن، عمان، ط١، ١٤٠٩ه، ص ١٠٦، ١٠٧، وينظر: أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، تحقيق: الاب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٦م، ص ٢١٦، ٢١٧.

ذلك بعدم مفارقة الأوعال لها، وبوجود الأمن من قوة المكان الذي أصبح أليفًا للصيد، حيث نجد "الأبيوردي" يهنئ سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي بعيد الأضحى في قوله:

فَجارُكَ لا يَخشى الأذى وتَخالُهُ منَ الأمْنِ في أنْضادِ "يذبل" أعْصَما (١)

فيؤكد الشاعر على أمن جار ممدوحه مثلما يوجد أمن الوعول أعلى جبل "يذبل" وقد توافق في تمثيل الجار بهذا الأمن والعزة والرفعة في تشبيهه ممدوحه عند جاره بقول "أبي بكر بن دريد":

رأيت بني الهصّار سادت جدودهم لهم شرف يرنو إلى النجم من عل

همُ خير من يمشي على الأرض معشرًا لجارٍ جنيبٍ أو لضيفٍ محوّل

إذا طانبت أبياتهم بيت جارهم فقد حلّ حيث العصم من فرع "يذبل"(٢)

نجد المكان الأليف المتعايش بين أمن الوعل في فرع "يذبل" وفي أعلاها وأنضادها، حيث وردت عند الشعراء متفاوتة بين عدة ألفاظ مجملها يدور في العلو والمناعة والحماية، وهنا نجد التوازي عند الشعراء في العلو والأمن والوعل وبين الجار والشعر، وكلها تدور في تشبيههم بالمناعة والقوة والارتفاع، لكنها جاءت في باب الفخر والمدح

(١) ديوان محمد بن أحمد القرشي الأموي الأبيوردي، مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٢) إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص ١٧٥.

التي التزمت عند الشعراء بمعجم القوة والارتفاع، وقد نجد باب الغـزل يدخل في هذا الأمر حيث شبه الشاعر همس صوت محبوبته بقوة سماع الأوعال، وهي في جبل "يذبل" أو عمايتين، وهنا تقـارب بـين الصـوت المهموس وبين قوة السمع الذي يسمعه الوعل، وذلك عند "جرير" حيث يقول:

طَرَقَ الخَيالُ لِأمِّ حَزرَةَ مَوهِناً ... وَلَحَبَّ بِالطَيفِ المُلِمِّ خَيالا

يا لَيتَ شِعري يَومَ دارَةِ صُلصُلٍ ... أتُريدُ صُرمي أم تُريدُ دَلالا

لَو أنَّ عُصمَ عَمايَتَينِ وَ"يذبل" ... سَمِعَت حَديثَكِ أنزَلَ الأوعالا

حُيِّيتِ لَستِ غَداً لَهُنَّ بِصاحِبٍ ... بِحَزيزِ وَجرَةَ إِذ يَخِدنَ عِجالا(١)

الشاعر هنا يقرن الوعل بـ"يـذبل" وعمـايتين التـي أصـبحت مشهورة لمناعتها وارتفاعها التي لاتزال بها حتى هذا اليوم، وهنا نجـد مقاربة بصورة سمعية تهدف إلى التقارب بين المحبوبين، حيـث جعـل الشاعر همس محبوبته يدركه عن بعد عمايتين و"يذبل"، وهنـا تشـبيه خيالي، حيث قرب الشاعر هذه الصورة بروح الود والحب بينـه وبـين محبوبته، لكن استخدام (لو) المانعة جعلت جواب الشرط ينزل الأوعـال من عصم عمايتين و"يذبل" إذا سمعت الحديث، وهذا يستحيل.

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مرجع سابق ص ٥٠، ٥١.

وقد تناول الشعراء مجموعة من الحيوانات والطيور الطبيعية التي في "يذبل" سواء بوصفها أو تشبيهها، غير الوعل، مثل: الأسد الذي يقول فيه "ناهض بن ثومة":

عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه مقيماً بلوذي "يذبل" وذقان(١)

فنجد الشاعر يذكر صوت الأسد، ويعقد مقارنة بين عوائه وبين صوت الأسد الذي يقيم بـ"يذبل" وذقان، وهنا يظهر الأمان عند أسد "يذبل" وذقان الذي يفصل بينهما وادي السرة؛ حيث يقع ذقان جنوبًا إلى الشرق قليلاً من جبل "يذبل".

ونجد "مزاحم العقيلي"(٢) يربط نسور شمام **بعقبان "يذبل"** في قوله:

تظل نسورٌ من شَمامٍ عليهم عُكوباً مع العقبانِ عِقبانِ "يذبل" (٣)

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، ج١٢، ص ٣٢.

(٢) هو مزاحم بن الحارث، أو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث من بني عقيل بن كعب، من عامر بن صعصعة، شاعر بدوي، من الشجعان، وكان مع رقة شعره صعب الشعر هجاءً وصافًا، عاش في زمن جرير والفرزدق، توفي نحو ١٢٠ه. (خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٥، مايو ٢٠٠٢، ج ٧، ص ٢١١؛ وينظر: منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، ج٧، ص ١١٣).

(٣) شعر مزاحم العقيلي، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح، مكتبة عبد الله الجبوري، ص ١١٥.

وهنا يظهر ارتباط طيور النسور بالعقبان التي تكبرها بالفراسة والقوة، ولكن الشاعر هنا ربط إقامة العقاب بـ"يذبل" والنسر بشمام الذي يقع عن "يذبل" شمالًا إلى الشرق قليلا ويبعد مسافة ١٠٠ كيلو تقريبًا، والشاعر جعل اللقاء هنا في الفضاء وليس في المسكن أو التقابل المباشر، فالمقصد هنا واحد الحصول على الفريسة أو الكشف، وليس في الصداقة أو التلاحم؛ لأن النسر أخف وأسرع من العقاب ولم يعرف عنه الافتراس، عكس العُقَاب الذي عرف بالافتراس والقوة والإقدام.

والإبل من هذه الحيوانات التي تناولها الشعراء في "يذبل" حيث يقول الراجز:

قد طال ما ماشى المطيّ "يذبل" وهو مقيم والمطايا تنسلُ(١)

وهنا دلالة على كبر مساحة جبل "يذبل"؛ حيث يطول على راكب الناقة المسير وجبل "يذبل" جنبه، وهنا تصوير حقيقي لكبر هذا الجبل، وربط بين الصورة المتحركة التي برزت في المشي والصورة الساكنة التي وردت في بقاء الجبل وعدم تحركه، حيث يتعب الراكب من المسير وجبل "يذبل" لم يَنْتَهِ، وبهذا التصوير يظهر استخدام الإبل في هذا المكان وكونها من الحيوانات الطبيعية التي تروده.

(١) سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، مرجع سابق، ق ٢، ص ٨٣٥.

المبحث الثاني: الطبيعة المتحركة والصامتة

من الطبيعة الصامتة التي تناولها الشعراء في "يذبل" الأودية والسيول والربيع، وبعض الصفات التي وجدت بهذا الجبل، والتي تناولها الشعراء خاصة، مثل: السفح والفرع والغار وغير ذلك، وسنتناول الأمثلة الواردة في ذلك، ومنها قول "مزرد":

أنهنه من ريعانها بعدما أتت على كل واد من ذقان و"يذبل" (١)

وقد قرن وادي "يذبل" ووادي "ذقان" الذي سبق أن رُبط معه في وصف صوت الأسد، أما السيل فنجد "القاسم بن علي بن هتيمل" يقول في الملك المظفر:

سَماحٌ كفَيضِ اليَمّ في هَضبِ "يذبل" وَوجهٌ كَبدرِ التَّمِّ في لَيثِ عَثير(٢)

فنجد الشاعر يشبه سماحة ممدوحه بفيض الماء في جبل "يذبل"، ومن الأمثلة التي تناولت الطبيعة في "يذبل" ذكر الربيع التي تكرر عند "النمر بن تولب" في قوله:

---

(١) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق ، ج٢، ص ٦١٤.

(٢) ديوان القاسم بن علي بن هتيمل دراسة وتحليل، محمد بن أحمد عيسى العقيلي، دار الكتاب العربي بمصر، ط١، ١٣٨١ه، ص ١١٨.

تَأَبَّـدَ مِـن أطـلالِ جَمـرَةَ مَأسَـلِ وَقَد أقفَرَت مِنها شراءُ فَ"يـذبل"(١)

ويقول "البحتري" يهجو قومًا من أهل بلده:

مَعاشِرُ لَم تُضرَب بِسَلمى قِبـابُهُم وَلا ارتَبَعـوا في "يـذبل" وَمُواسِـلِ(٢)

ففي الأول إيحاء ودلالة على وجود الربيع فـي "يـذبل" وشـراء ومأسل، وفي الثاني تأكيد على وجود الربيع في "يذبل" ومواسل؛ حيـث هجا القوم بعدم رحيلهم لربيع "يذبل"، وهنا دلالة على جمال ربيع "يـذبل" وتنوعه.

والغار من الطبيعة الصامتة التي وردت متنوعة في أجـزاء مـن جبل "يذبل" حيث يقول"جوثة بن حزن بن عبادة":

---

(١) محمد بن يزيد المبرد (٢١٠-١٨٥هـ)، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ،م٢، ص ٥٩١، وينظر: محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ت: محمد علي الهاشمي، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١ه، ج٢، ص ٥٤٢، وينظر: محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت: ٥٩٧)، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م١، ص ٢٧٢، وينظر: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٣، ص ٧٨٦.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ص ١٩٠٣.

ألا أيُّهـا الغـارُ الـذي ظَـلَّ يومنـا نرىَ "يـذبلاً" فيـهِ سَقَتكَ الـرّوائحُ (١)

نجد الشاعر هنا يخاطب الغار الذي جلسوا فيه واستكنوا من الأمطار وعواصفها وهو بجبل "يذبل"، وهنا ذكر الشاعر وجود الغار والأمطار التي تنزل على "يذبل"، ومن الصفات الطبيعية التي في "يذبل" (السفح): وهو عبارة عن انبساط مستوٍ مكشوف في الجبل، ومن ذلك قول شاعر من العرب:

إذا كنت في الحصاء أو في بجـادةٍ نظرت حدوج الحي في سفح "يـذبل"(٢)

ومن هذه الصفات أيضًا ذكر (الفرع) وهو المكان النازل وسط الجبل وتحيط به المرتفعات وبه يجتمع الماء وتنبت الأشجار والنباتات، ومثال ذلك ما قاله "أبو بكر بن دريد":

إذا طانبت أبيـاتهم بيـت جـارهم فقد حلّ حيث العصم من فرع "يذبل"(٣)

---

(١) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ق٣، ص ١٦٤٠.

(٢) محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، مرجع سابق، ج١، ص ٢٤.

(٣) إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، كتاب الأمالي، مرجع سابق، ج٢، ص ١٧٥.

ومن هذه الصفات التي تكررت كثيرًا، ووردت في مواضع شتى لفظة "شمروخ" فقد وردت بصيغة الجمع، ومنها على سبيل المثال قول "أمية بن أبي عائذ":

لِيَعْلَمَ سَهْمٌ أنَّني مِنْ وَرَائِهِ كَأَفْنَادِ رَضْوَى أو شَمَارِيخِ "يذبل"(١)

ويقول "ابن هانئ" في مديح له:

تَفَرّدتَ الآراءِ لا يومُها غَدٌ ولا سَرْجُ الآياتِ فيهنّ بُوَّخ

وليس ظِهارٌ يحجُبُ الغيبَ دونَها ولكنّها تدسيّةٌ فيه تَرسُخ

على الشمس دون البدر منها أسرّةٌ وفي "يذبل" منها شَماريخُ بُذَّخ(٢)

وتكرارها دليل على صفة تميز به جبل "يذبل" عن غيره من الجبال الذي قرن بها، وربما يدل ذلك على الطول وعدم الاتساع، "والشِّمْراخُ: رأْسٌ

(١) الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٢، ٥٣١.

(٢) زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، مرجع سابق، ص ١٨٩.

مستدير طويل دقيق في أَعلى الجبل. قال الأَصمعي: الشَّـــماريخُ رؤُوس الجبال وهي الشَّناخِيبُ، واحدتها شُنْخُوبة"(١).

(١) جمال الدين محمد بم مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م٣، ص٣١.

المبحث الثالث: صفات "يذبل"

تعددت صفات "يذبل" عند الشعراء واشتهر بها، مثل: الثقل والثبوت والطول والارتفاع والعلو والقوة فضربت بها الأمثال وتنوعت الصور من شاعر لآخر، وسنتناول جزءًا منها في هذا المبحث، وإن غلبت هذه الظاهرة فقد ظهرت متكررة في أثناء الدراسة بعيدًا عن هذا المبحث، ولكونها ظاهرة فقد أفردنا لها هذا المبحث.

ثقل جبل "يذبل"

وردت هذه الصفة عند جلّ الشعراء كثيرًا، حيث تحدثوا عنها، فضربوا بـ"يذبل" الأمثال، ورسموا بها جل الصور، وذلك لما وجد في هذا الجبل من صفات ملائمة وقريبة، حيث عرف هذا الجبل بارتفاعه وكبره وتوسطه نجدًا، ومن النماذج التي تناولت ثقل هذا الجبل قول "ابن الرومي":

حطَّ ثِقلَ الخراجِ عنِّي وقد كا ... ن كأركانِ "يذبل" وشمام (١)

وقوله أيضًا يمدح "عبيد الله بن سليمان" ويعذله على تقديم ابنه "القاسم" على "الحسن"، ويحضه على إلحاقه به في المرتبة:

وإذا ما بَعِلْتَ بالعبء ذي الثِّقـ ... ـل فضعْ ثقلَهُ على أكتادِهْ

(١) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٣٨.

يَحتمِلْ أوْقَهُ ويَنهضْ بِرضْوى وشَرَوْرَى و"يذبل" ونَضادِهْ(١)

ففي المثال الأول نجد "ابن الرومي" يشبه ثقل الخراج الذي كان يحمله بثقل أركان جبل "يذبل" وشمام، أما المثال الثاني فيظهر تشبيه ممدوحه "الحسن" أمام والده بحمل المصائب الثقيلة حينما يتعب من حملها، والذي شبهها برضوى وشرورى و"يذبل" ونضاد، وهنا يؤكد الشاعر على ثقل هذا الجبل الذي صرح بلفظة (الثقل) فيه سواءً بالتشبيه المباشر في المثال الأول أو جعل حمل المصائب يشبهها حمل الجبل الذي يعد "يذبل" واحدًا منها، وقد شابه ذلك قول "البحتري" في مدح "أحمد بن محمد بن بسطام":

لَهُ نَبعَةٌ في العِزِّ طالَت فُروعُها وَطابَ ثَراها وَاطمَأَنَّت أُصولُها

وَلَو وُزِنَت أركانُ رَضوى وَ"يذبل" وَقُدسٍ بِهِ في الحِلمِ خَفَّ ثَقيلُها(٢)

فالشاعر شبه أصل ممدوحه الكريم بأصل الشجرة التي فروعها طويلة وأصلها ثابت وأرضها طيبة، فهو في الحلم أثقل من جبال "رضوى، و"يذبل"، وقدس"، لكن الشاعر تفلسف في رسم هذه الصورة بالتقديم والتأخير، فجعل ثقل هذه الجبال يخف أمام حلم ممدوحه، وعلى نهج هذه الصورة يقول "أحمد الخلوف الأندلسي" في مديح الصحابة رضوان الله عليهم:

---

(١) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، مرجع سابق،ج١، ص ٤٥٧.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ١٧٨١.

هم النفر الغر الذين نفوسهم سمت فاستخفت "يذبلاً" ويلملما (١)

ولكن المعنى يختلف فـ"البحتري"يصرح بلفظة الميزان ويقابلها بالحلم، أما "الخلوف" فيظهر من المعنى وزن النفوس، ويطلق عليها صفةً حسية من خلال استخدامه خفة جبل ""يذبل"، ويلملم" الذي عرف بالثقل، فكلمة "استخفت" دلت على الوزن، وأصبحت معادلًا موضوعيًّا بين النفوس والجبلين، وفي مثال آخر "للبحتري" في مدح "الحسن بن وهب" نجده يرمز للثقل بجبل "يذبل" في قوله:

مَن سائلٌ لِمُعَذِّرٍ عَن خَطبِهِ أو صافِحٌ لِمُقَصِّرٍ عَن ذَنبِهِ

حُمِّلتُ لِلحَسَنِ بنِ وَهبٍ نِعمَةً صَعُبَت عَلى ذِلِّ الثَناءِ وَصَعبِهِ

وَوَعَدتُهُ أَنّي أَقومُ بِشُكرِها فَحَمَلتُ مِنهُ نَقًا فَلَم أَنهَض بِهِ

إِلّا أَكُن كُلِفتُ مِنهُ "يَذبلاً" فَلَقَد مُنيتُ بِخِدنِهِ أَو تِربِهِ

ما أَضعَفَ الإِنسانَ إِلّا هِمَّةً في نُبلِهِ أَو قُوَّةً في لُبِّهِ(٢)

فـ"البحتري"يذكر صفات ممدوحه من فعال ومواقف نحوه خاصة، وذلك بتساؤله في البيت الأول، ثم إجابته وحديثه عن نفسه، وأنه لا يستطيع حمل هذا المعروف، حتى إن حاول حمله ورده؛ لأنه أشبه بجبل

(١) ديوان أحمد أبي القسم الخلوف الأندلسي، طبع بالمطبعة السليمية في بيروت، ١٨٧٣م، ص ١٦٥.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ١٦٣.

"يذبل" في ثقله وكبره، والإنسان ضعيف لا يستطيع حمل الأثقال، وإنما همَّة الرجال وطيبها يفوق حمل الجبال.

الطول والارتفاع

امتاز جبل "يذبل" بالطول والارتفاع، وضرب الشعراء فيه أبرز الصور والتشبيهات التي أصبحت مضرب أمثال، فيقول "الفرزدق" في رده على "جرير":

فإنْ تهجُ آلَ الزبرقانِ فإنما هجوتَ الطوالَ الشمَّ منْ هضبِ "يذبل" (١)

فينفي "الفرزدق" هجاء "جرير" لآل الزبرقان، وذلك بتشبيهه آل الزبرقان بالطوال الشم من هضبة "يذبل"، التي لم يؤثر فيها الهجاء والذم.

وهذا "عبد الله بن محمد الأمين" يقول لـ"أبي نهشل بن حميد":

بيتك في ذي يمنٍ شامخٌ تقصر عنه قُنَّتا "يذبل" (٢)

---

(١) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت: ٥٩٧)، منتهى الطلب من أشعار العرب، مرجع سابق، م٥، ص ٢٩٢، وينظر: ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٦م، م٥، ص ١٢٢.

(٢) محمد بن يحيى الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ، لناشره: ج.هيورث.دن، مطبعة الصاوي، مصر، ١٣٥٥ه، ص ١٠٠.

فبيت أبي نهشل مرتفع شامخ حتى إن رأس جبل "يذبل" الذي عرف بالارتفاع يقصر عن طول بيت ممدوحه، وهذا "الشريف الرضي" يقول في مديح أبيه:

وَأستَنزِلَنَّ المَجدَ مِن قُذُفاتِهِ وَلَو كانَ أعلى "يذبل" وَشَمامِ(١)

فيعكس صورة ممدوحه؛ حيث جعل والده يُنْزِل المجد من أعلاه، مؤكدًا على ذلك بصورة حسية تتمثل بارتفاع جبل "يذبل" وشمام، وهنا أصبحت هذه الصورة تبدأ من الأعلى إلى الأسفل عكس "عبد الله الأمين" الذي جعلها صاعدة من الأسفل إلى الأعلى، ويشابه الأمين قول بعض الفضلاء في رثاء "تاج الدين أبي محمد الحنفي النحوي أحمد بن عبد القادر القيسي":

لعلَّك والإحسانُ منكَ سَجِيَّةٌ وأوصافك الأعلامُ طاولنَ "يذبل" (٢)

فقد جعل أوصاف "القيسي" تطاول بالارتفاع جبل "يذبل"، وهنا تشبيه متوازٍ بين المعنويات والمحسوسات.

ويشبه "ابن المقرب العيوني" عزّ ممدوحه بارتفاعه وموازاته لجبل "يذبل" وجبل "يلملم" في قوله:

---

(١) ديوان الشريف الرضي، مرجع سابق، ج٢، ص ٨٤٤.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩ه، ج١، ص ٣٢٨.

وقادَ إليهِ الناسَ بَأسٌ وَرغبةٌ وعز يُناصي "يذبل" ويلملما(١)

نلحظ –من خلال الأمثلة السابقة– تمثيل الشعراء بطول جبل "يذبل" وشموخه وارتفاعه، حيث أصبح يُتَمَثَّلُ به في أوصاف ممدوحيهم، وقد لا نجد التصوير به في ذاته بدناءة أو تشبيه رديء.

الثبوت والقوة

تناول الشعراء في رسم صورة "يذبل" قوة ثبوته ورسيانه في الأرض، وعدم تحركه، وهنا تعد هذه الصفة جزءًا من الصفات المشتركة والكثيرة في "يذبل" لدى الشعراء، ومنها قول "حريث بن عناب الطائي" في "طلحة بن عبد الله بن عوف":

إذا ما أتاه سائل عن جناية يكون شفيعيه هشام ونوفل

حليفين ليسا يبرحانك ما بقى سنام وما أرسى حراء و"يذبل"

فلا الجود يخليه ولا البخل حاضر سجيس الليالي أو يؤوب المنخل(٢)

---

(١) جمال الدين علي بن المقرب العيوني (ت: ٦٣١ه)، ديوان ابن المقرب العيوني، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، ط٢، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م، ص ٤٧٠.

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩ه)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكام، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧ه، ج١٠، ص ٤١٢٦.

وقول "حرم بن عبد الجليل العلوي"

عليكم سلام مارست شمٌ "يذبل" وما جال ذكر الزاد في قلب مرمل(١)

فالمثال الأول يشبه الممدوح ببقاء سنام، ويشبه حليفيه "هشامًا، ونوفلًا" بثبات جبل "حراء، و"يذبل" في قوله: (ما بقى "سنام" وما أرسى "حراء" و"يذبل")، أما المثال الثاني فيشبه الشاعر دوام "سلامه" بثبوت الطوال في جبل "يذبل".

وفي دلالة الشعراء على **القوة** نجد "ابن الرومي" يقول في "ابن قرة" مشبِّهًا بناءه وقوته وشموخه بجبل "يذبل" فلا يستطيع هدمه أحد:

إنّي بناني من بني "يذبل" فليس تستطيعُ يدٌ هَدْمِي (٢)

وفي قول "ابن الرومي" أيضًا يمدح "صاعد بن مخلد":

نزلْتَ بِهِ تَأبَى القِرَى غيْرَ نَفْسه وذَاكَ قِرىً مِنْ مِثْلِهِ لَكَ مُعْتَدُ

بِأرْعَنَ لَوْ يُرْمَى بِهِ عُرْضُ "يذبل" لأصْبَحَ مَرْسَى صَخْرِهِ وهْوَ جَدْجَدُ(٣)

وفي وصف "البحتريّ" سيفًا:

---

(١) أحمد الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، المطبعة الجمالية، مصر، ط١، ١٣٣٩ه، ص ٢٧.

(٢) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٨٧.

(٣) ديوان ابن الرومي، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٨١.

مـاضٍ وإن لم تمضـه يـد فـارسٍ بَطَـلٍ ومصـقولٌ وإن لم يُصْـقَلِ

متوقِّـدٌ يفـري بـأوّل ضـربة ما أدركت ولو انهم في "يذبل"(١)

ويقول "بكر بن عبد العزيز العجلي":

وبعزمَـةٍ تُخشـى ورأيٍ يُتَّقَـى وبعزمـةٍ فـوق السِّـماك الأعـزلِ

وبسـابحٍ عَبـلِ الشَّـوى شَـنِجِ النَّسـا يهـوي براكبِـه هُـويَّ الأجـدلِ

وبصـارمي الـذَّكرِ الـذي آوي بـهِ عندَ الخطوبِ إلى مناكبِ "يذبل"(٢)

تظهر حقيقة قوة جبل "يذبل" من خلال النماذج السـابقة، سـواءً أكان ذلك في تشبيه "ابن الرومي" في مثاله الأول في قوة بنائه؛ لأن الذي بناه هو الذي بنى جبل "يذبل" بقوته وضخامته، فـلا يسـتطيع أحـد أن يهدمه، أم في مثاله الثاني، وتشبيه قوة كرمه بهد سفح جبـل "يـذبل"، فيجعله أرضًا صلبة مستوية، وهنا كناية عن قوة كرم نفسه التي أسندها

(١) ديوان البحتري، مرجع سابق، ص ١٧٥١، وينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦ه)، عيون الأخبار، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ١٢٩، وينظر: علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق: السيد محمد يوسف، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٧ه، ق١، ٣٩، ٤٠.

(٢) ديوان بكر بن عبد العزيز العجلي، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٧٨،٧٧.

إلى الواقع المعروف بالقوة وهو جبل "يذبل"، فيؤكد –بصورته التخييلية– على قوة المشبه؛ حيث جعلها أقوى من المشبه به، وهي مقبولة؛ لكونها دلالة على المبالغة والتفخيم المراد بها تأكيد القوة.

وفي مثال "البحتري، والعجلي" نجد ضرب السيف الذي دل على قوته وحد سنانه ضربه جبل "يذبل" الذي عرف بالقوة والثبات، فالأول يقول: إن أعدائه لا يحميهم جبل "يذبل" عن ضرب سيفه، والثاني يشبه أعداءه في قوتهم عند المعركة بمناكب "يذبل"، لكن هذه القوة لم تحمهم من ضرب سيفه؛ لذا نجد ثبات وقوة جبل "يذبل" أصبحا مضرب مثل عند الشعراء.

"يذبل" والصفات المشتركة

أطلق الشعراء على "يذبل" بعض الدلالات والصفات المشتركة بين الجبال، ولعل من أهمها لفظة "هضبة" التي لازمت "يذبل" كثيرًا، ومن ذلك قول "أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي" المعروف"بحيص بيص" في "جمال الدين الوزير":

خِرْقٌ يُناطُ قميصُه ورِداؤهُ بعُبابِ زَخّارٍ وهَضْبَةِ "يذبل"(١)

فكلمة هضبة تدل على الجبل الذي تتنوع طبيعة صخوره، وتتمدد أطرافه بالإضافة إلى طولها، ومن هذه الصفات الدالة على "يذبل" "الطود" وهي صفة للجبل العظيم، كقوله تعالى(كالطود العظيم) سورة الشعراء(

(١) عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٣.

آية: ٦٣). وقد وردت في "يذبل" غير مرة، ومنها قول "الفرزدق" في "إبليس" وحواره معه حيث شبه من أوقعه في البحر بطود "يذبل"، و"شمام":

ألا طالَ ما قَد بِتُّ يوضِعُ ناقَتي ... أبو الجِنِّ إبليسُ بِغَيرِ خِطامِ

يَظَلُّ يُمَنّيني عَلى الرَحلِ وارِكاً ... يَكونُ وَرائي مَرَّةً وَأَمامي

يُبَشِّرُني أن لَن أَموتَ وَأَنَّهُ ... سَيُخلِدُني في جَنَّةٍ وَسَلامِ

فَقُلتُ لَهُ هَلّا أُخَيَّكَ أخرَجَت ... يَمينُكَ مِن خُضرِ البُحورِ طَوامِ

رَمَيتَ بِهِ في اليَمِّ لَمّا رَأيتَهُ ... كَفِرقَةِ طَودَي "يذبل" وَشَمامِ

فَلَمّا تَلاقى فَوقَهُ المَوجَ طامِياً ... نَكَصتَ وَلَم تَحتَل لَهُ بِمَرامِ(١)

وهكذا تعدد استخدام الصفات التي امتاز بها جبل "يذبل"، وتنوعت الأسماء التي أُطلقت عليه، فلحقت به، مثل: الهضبة والطود، واتضح من الأمثلة التي ساقها البحث أن جبل "يذبل" كان له حضور في الشعر العربي على مدى أزمنة ممتدة منذ العصر الجاهلي، فهو يمثل معنىً ورموزًا ودلالة، وكان منبعًا لاستنطاق المعاني في الأغراض المتنوعة التي تناولها الشعراء.

(١) ديوان الفرزدق، مرجع سابق، ص٥٤٠، ٥٤١.

الفصل الثالث: "يذبل" وجماليات المكان والصورة

يتناول هذا الفصل دلالة المكان الحقيقي والمتخيل بجميع أشكاله الرافض والآمن والمتوحش، والتشبيهي، بالإضافة إلى صورة "يذبل" وكيف جعله الشعراء مرة متحركًا وأخرى ساكنًا، وتناولهم له مرةً تشخيصًا وأخرى تجسيدًا، وعلاقته بالرمز وتأثر الشعراء بعضهم ببعض في تناوله، ورسم صورته.

المبحث الأول: "يذبل" ودلالة المكان

يتنوع المكان في "يذبل" عند الشعراء بين المكان الحقيقي والمكان المتخيل، وقد تتعدد الدلالة إلى غير ذلك، ولكنها تصب تحت هذين القالبين، وسنتناول -في هذا المبحث- كل جانب من هذين وما يندرج تحته.

المكان الحقيقي

لم يخلُ "يذبل" عند الشعراء في حديثهم عنه من الحقيقة، "وهو الذي يمكن تحديد أبعاده الجغرافية والاجتماعية والنفسية"(١)، وقد أصبحت هناك دلالات مباشرة وغير مباشرة، ولكنها في أصلها تقوم على

(١) حمد فهد جنبان القحطاني، المكان في شعر زاهر الألمعي-دراسة في جماليات المكان وإبداع الدلالة، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلة علمية محكمة، عدد خاص، يوليو ٢٠١٤م، ص ٦.

"يذبل" الحقيقي، ولم يدخلها عالم الرمزية والخيال التصويري، ومن ذلك قول "تميم بن أبيّ بن مقبل(١)" في مدح قبيلته:

وفي الغُرِّ مِنْ فَرْعَيْ رَبِيعة عَامِرٍ عَدِيدُ الحَصَى والسُّؤْدُدُ المُتَبَحْبِحُ

هُمُ مَلَؤُوا(٢) نَجْداً ومِنْهُمْ عَسَاكِرٌ تَظَلُّ بِهَا أَرْضُ الخَلِيفَةِ تَدْلَحُ

وهُمْ مَلَكُوا ما بَيْنَ هَضْبَةِ "يذبل" ونَجْرَانَ هَلْ في ذَاكَ مَرْعًى ومَسْرَحُ

وشُبَّانُنَا مِثْلُ الكُهُولِ وكَهْلُنَا إذَا شَابَ قِنْعَاسٌ مِنَ القَوْمِ أَجْلَحُ(٣)

الشاعر هنا يحدد ملك قومه الذي حدده بظرف المكان "بين" والذي دل على اتساع ملكهم، حيث جعل هضبة "يذبل" أحد حدوده من الشمال ونجران من الجنوب، فما بين هذين المكانين هو مِلْكٌ لقومه، وهذا المكان حقيقي وليس متخيلاً، بغض النظر عن سكن قومه به

(١) هو تميم بن أبيّ بن مقبل، من بني عجلان، من عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهلية، توفي بعد: ٣٧ه، ٦٥٧م، عاش نيفًا ومئة سنة، وعُد في المخضرمين، وكان يهاجي النجاشي الشاعر، له ديوان شعر مطبوع. (الأعلام للزركلي، ج٢، ص ٨٧؛ وينظر: ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سورية، ١٤١٦ه، ص ٣، ٥).

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سورية، ١٤١٦ه، ص ٥٧.

وملكهم إياه، فالدلالة المكانية حقيقية ظهرت بمعالم وحدود جغرافية مرسومة استخدم فيها الشاعر الظرف المكاني، وقام تحديد هذا المكان على غرض المدح والفخر، عكس ما نجده من ذم وهجاء عند "معن بن أبي فهرة اليحياني السلمي" في قوله:

لَحَى اللهُ قوماً بين ساحٍ و"يذبل" لئاماً تَدينُ السيفَ تَلْحاً جِعابُها(١)

فالمكان الدالّ عند الشاعر حقيقي، حيث حدد إقامة القوم بين "ساح" و "يذبل"، وقد نجد هناك شبهًا لهذا التحديد عند "الناصر داود بن عيسى بن محمد بن أيوب" في قوله:

إليك امتطينا اليعملات رواسماً يجبن الفلا ما بين رضوى و"يذبل"(٢)

فالشاعر يرسم طريقه على راحلته عندما امتطاها، حيث قطعت الصحراء الواقعة بين "رضوى" و"يذبل"، ونجد –في المثالين السابقين– تحديد مساحة المكان بين "يذبل" وبين ساح مرة وبين "يذبل" ورضوى مرة، واستخدم الشعراء ظرف المكان "بين" الدال على التحديد، وإن اختلف غرضا الأبيات؛ فمرة هجاء القوم المقيمين، والأخرى وصف الرحلة، عكس أبيات "تميم" التي جاءت في المدح والفخر.

---

(١) هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، مرجع سابق، ق٢، ص ٨٥٧.

(٢) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، مرجع سابق ، ج١٣، ص ٣٠٧.

وقد استخدم ظرف المكان الدال على الحقيقة في مواضع متعددة، وإن تغير الظرف نفسه، ولكنها تصب في قالب واحد، وهذا واضح في قول "قيس بن الحدادية":

نظرت ودوني "يذبل" وعمايةٌ إلى آل نعمٍ منظرًا متنائيا(١)

نجد "قيسًا" ينظر إلى (آل نعم) منظر البعيد، وذلك حينما وجد دونه جبلي "يذبل"، و"عماية"، فكأنهما حجبا بينه وبين (آل نعم)، ولعل الظرف "دون" المكاني رسم الحقيقة المتوقعة في جبلي ("يذبل" وعماية) التي أصبحت بينه وبين آل نعم، وهذا الظرف نجده أيضًا يتكرر عند "البعيث المجاشعي" في قوله:

ألا طرقت ليلى الرّفاق بغمرة وقد بهر الليل النجوم الطوالعُ

وأنّي اهتدت ليلى لعوجٍ مناخةٍ ومن دون ليلى "يذبل" فالقعاقعُ(٢)

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، ج١٣، ص ٧.

(٢) شعر البعيث المجاشعي، تحقيق: عدنان محمد أحمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٥٥، وينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٤، ص ٣٧٩، وينظر: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٣، ١٠٨٥، وينظر:إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، كتاب الأمالي، مرجع سابق، ج١، ص ١٩٦، وينظر: أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥٩.

حالَ جبلا "يذبل" و"القعاقع" دون "ليلى"، وهما يقعان عن منازلها غربًا، فكأن صاحبها يقع –أيضًا– غرباً عن "يذبل" والقعاقع، حيث تقع منازل "ليلى" الحقيقية شرقًا عن "يذبل"، وهنا ظهر المكان الحقيقي للشاعر، وذلك باستخدامه ظرف المكان المربوط بالمكان ودلالته.

يظهر –من المكان الحقيقي الذي تناوله الشعراء في "يذبل"– تنوع دلالي فيه ماسبق أن تناولناه من خلال المباحث السابقة في رسم حقيقة "يذبل"، وفيه ما تناولناه في هذا المبحث؛ حيث أصبح المكان الحقيقي عند الشعراء في حالتين تحديد رسم المكان؛ حيث يكون جبل "يذبل" أحد أركانه أو جوانبه، والآخر يكون المقصود وراء جبل "يذبل"، فيكون "يذبل" متوسطًا في رسم الحقيقة عند الشعراء، ولا سيما "قيس" و "البعيث".

المكان المتخيل

تشترط الرؤى الشعرية الابتعاد المتراوح عن الوعي والذهول عن الواقع، مع اختزان نماذجه، وصناعة رموز كلية لها من منظور شامل(١)؛ حيث تتشكل "يذبل" عند الشعراء بين الحقيقة والخيال، وغلب الجانب الخيالي على "يذبل" الحقيقي، وذلك لكون الشعراء لم يسكنوه، وإنما ورد رمزًا وأسطورةً ومثلاً في القوة والكبر والثبوت والطول، فمرّ عند الشعراء في تصويرهم عابرًا في بيتين أو ثلاثة، ولم نجد قصيدة كاملة تتحدث عن "يذبل" ومعالمه وأماكنه وصفاته، وإنما نجد لمحات من صفاته العابرة في تصويره المتخيل، وربما نجد أن كثيرًا من الشعراء

(١) صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٦٠.

الذين تعرضوا ل"يذبل" لم يسكنوا به، وربما حتى لم يروه، وإنما سمعوا عنه وتأثروا بغيرهم في تصويره، ونلمح هذا في قول "الشريف الرضي" في "الطائع لله أمير المؤمنين":

إني وإن ضرب الحجاب بطوده أو حال دونك "يذبل" ويلملم

لأراك في مرآة جودك مثل ما يلقى العيان الناظرُ المتوسمُ(١)

فيتخيل الشاعر لو ضرب الحجاب، الذي شبهه بالجبل العظيم أو حالَ دون ممدوحه جبل "يذبل" و"يلملم"، فلابد من أن يرى جوده وكرمه، مثل المتقابلين عن قرب، وقد قارب ذلك وشابهه قول كل من "علي الحصري القيرواني" في مديحٍ له:

وإنْ يَكُ دَهْرِي ضَمَّنِي ثمّ ضامني فإنَّ عَلِيا خيرُ مَوْلىً وموئلِ

هُمامٌ إذا ما هَمَّ بالأمرِ فامتَطَى عزيمَتَه ناءَتْ بِرَضْوَى و"يذبل"(٢)

و"ابن القزاز المغربي" في رثائية له:

---

(١) ديوان الشريف الرضي، مرجع سابق، ج٢، ص ٧٨٢، وينظر: عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت: ٤٢٩ه)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، مرجع سابق، ج٣، ص ١٥٨.

(٢) علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مرجع سابق، القسم الرابع، المجلد الأول، ص ٢٦٠.

وأعجب شيء قيس شبرٍ تضمنت نواحيه قطري "يذبل" ويلملم

سأبكيك لا أن البكا عدل لوعتي ولا أن وجدي فيك كفؤ تندمي(١)

ويقول "سيف الدين علي ين عمر بن قذل المشد" في النار التي خرجت بالمدينة المنورة عام ٦٥٤ه:

ولما نفى عني الكرى خبر التي أضاءت بإذن ثم رضوى و"يذبل"

ولاح سناها من جبال قريظة لسكان تيما فاللوى فالعقنقل(٢)

على الرغم من اختلاف الموضوعات التي تناولها هؤلاء الشعراء، إلا أننا نجد تقاربًا في تصويرهم المكاني المتخيل، الذي دار في محور البعد والقرب والطول والكبر، فمثلاً نجد عند (الحصري) تصوير عزيمة ممدوحه التي تخيلها بعد "رضوى"، و"يذبل"، وربما يكون هناك دلالة على الكبر والثبات.

وعند (سيف الدين) نجد صورة النار التي اشتعلت في المدينة وإضاءتها في الـ"إذن"، و"رضوى"، و"يذبل" رغم بُعْد كل من هذه الجبال،

---

(١) ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، مرجع سابق، م٤، ص ٢١١.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٨م، ج٢، ص ٤٧.

ولكن الشاعر أراد دعمًا على تصوير هذه النار التي حدثت في ذلك بلوحان سناها من جبال قريضة لسكان "تيما، واللوى، والعقنقل"، ولا أحد ينكر عظمة هذه النار وكبرها، ولكن الشاعر دعم هذا الحدث الحقيقي بصوره الخيالية، التي ربطها بالأماكن الحقيقية المتباعدة، حيث رسمها بصورة متخيلة لبعد كل من هذه الأماكن عن الآخر.

أما (ابن القزاز) فيرسم صورة الشبر في مقاسه بطول قطر جبل "يذبل" وجبل "يلملم"، وهنا رمز الشاعر لكرم مرثيه بالمدح، وذلك بتشبيه شبر كفه بهذه الجبال المعروفة والمشهورة، فكأن صاحبه معروف مشهور، مثل هذه الجبال، وربما للدلالة الأولى التي شبهها بانهيال الكرم، مثل هذه الجبال بالعطاء في الكبر والثقل، وهنا الصورة المتخيلة شبه الممدوح التي شابهت ""يذبل"، ويلملم".

وهذا "صفي الدين الحلي" يقول في غلام مطرب بالعود:

وَإِن حَرَّكَتـهُ الكَـفُّ أبـدى تَمَلمُـلاً فَحَـرَّكَ مِنّـا "يـذبل" وَيَلَملَمـا(١)

فرمز الشاعر بجبل ""يذبل"، ويلملم" عن دواخلهم وما بها من إحساس طرب وفرح، حيث تحركت مثلما حركها الغلام بالعود، فرمز لمشاعرهم بصورة مكانية متخيلة شابهت جبلي ""يذبل"، ويلملم".

وهذا "ابن الرومي" يصرح برمزية ممدوحه "المعتضد بالله" في احتبائه في قوله:

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي، مرجع سابق، ص ٤٧٩.

حتى تراه في بنيه قد احتبى فَيُخال "يذبل" في الهضاب قد احتبى (١)

رمز الشاعر هنا لممدوحه بتشبيهه بجبل "يذبل"وكأنه في وسط الهضاب، ولعل الشاعر أراد من خلف ذلك بإيحاءات ودلالات معنوية متعددة منها تعظيم الممدوح في تشخيص جبل "يذبل" وذلك بتصويره (الاحتباء) كأنه إنسان.

ونجد "البحتري" يجعل جبل "يذبل" يخيم في مديح "المتوكل" بقوله:

فَهَلِ الرَوافِضُ ناقِصوكَ ثُلامَةً إِن غَيَّروا بِضَلالِهِم أو بَدَّلوا

لَن يَستَطيعوا نَقلَ حَظِّكَ بَعدَ ما أرسى بِهِ قُدسٌ وَخَيَّمَ "يذبل"(٢)

فيستعير الشاعر جبل "يذبل" و"القدس" لتشبيه قوة حظ الممدوح، حيث لا يستطيع أعداؤه تحريكه ولا تغييره، واستعار لتثبيت هذا الحظ بمكان متخيل أراد منه القوة والكبر والثبات برسيان "القدس"، وتخييم جبل "يذبل".

وهذا "أبو الفضل علي بن أبي المظفر يوسف بن أحمد الآمدي" يحرك جبل "يذبل" ويجعله مثل السها في قوله:

لولا دلالك لم أبت متقسم ال عزمات مسلوب الرقاد متيها

---

(١) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، مرجع سابق، ج١، ص ٢٣٩.

(٢) ديوان البحتري، مرجع سابق، ص ١٦٠١.

لي أربع شهداء في صدق الولا دمع وحزن مفرطٌ وتبدلها

وبلابل تعتادني لو أنها في "يذبل" يومًا لأصبح كالشُّهَا(١)

نجد "يذبل" في الأمثال السابقة متخيلًا؛ حيث تشكل بين صور وتشبيهات ورمزيات لها دلالات وإيحاءات دعم بها الشعراء رؤيتهم في توصيل معانيهم بصور شعرية رائدة، ولعل "يذبل" من أهم ما دعم ذلك بكونه رابطًا يبيّن الحقيقة، وللدلالة المكانية التي أضفت جمالية ورؤية إبداعية.

المكان المفترض أو المتوقع

يعد "يذبل" من الأماكن التي تشكلت عند الشعراء، وتنوعت صورها ما بين صور واقعية ومتخيلة، ولعل من الصور المتخيلة التي رسم بها "يذبل" صورة المكان المفترض أو المتوقع عند الشعراء، وذلك باستخدام أداة شرط تمنع أن يكون حقيقة، وبهذا أضفى صورة خيالية ترمز لواقع لها علاقة معنوية أو صفة حقيقية بينها رابط فيه، ومن ذلك قول "الفرزدق":

إِنَّ تَميمًا كُلُّ جَدٍّ لِجَدِّها يَذُلُّ لِفَرّاسِ الجُدودِ كَلاكِلُه

(١) شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت:٦٨١ه)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م٣، ص ٣٩٨.

لَأصيدَ لَو يُلقي عَلى رُكنِ "يذبل" يَدَيهِ إِذاً لَانقَضَّ مِنهُ جَنادِلُه(١)

وقول "مهيار الديلمي" يمدح الوزير زعيم الدين الحسن في المهرجان:

ومحدِّثٍ بك في الوساوس نفسَه نفسٌ لعمرك ضَلّةٌ ما سَوَّلتْ

لو ثاقلوك به وأُلقِيَ "يذبل" معه لكانت قِمةً ما عُدّلتْ(٢)

ويقول "المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني" في مديح له:

كم قوضت يمناك عنا شدةً لولاك بعد الله لم تتقوض

ونهضت من ثقل المعالي بالذي لو سيم "يذبل" بعضه لم ينهض(٣)

فـ"الفرزدق" يشيد بقبيلته "تميم" وعزها وقوتها راسمًا صورةً خيالية متوقعة، حيث يحدث انقضاض جوانب ركن جبل "يذبل"، وذلك عند اشتراطه إلقاء اليدين عليه، وكأنها مفارص حديد وفيها تخييل عن الكبر والقوة التي استحالت بها عن حدوث مكان متوقع خيالي في تصوير

(١) ديوان الفرزدق، مرجع سابق، ص ٤٥٦،٤٥٧.

(٢) ديوان مهيار الديلمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤ه، ج١، ١٧٩.

(٣) علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مرجع سابق، القسم الرابع، المجلد الثاني، ص ٦٤٤.

الشاعر، وكأن المتلقي يرى هذه الصورة المتخيلة حقيقة لدعم رؤيته في قوة قبيلته ومكانتها.

وعلى هذا النهج التصويري يرسم (الديلمي) صورة خيالية متوقعة في مدح الوزير، حيث جعل مع ثقله ثقل جبل "يذبل"، للإشادة بأفعال ممدوحه وصفاته، وتكررت هذه الصورة المفترضة والمتوقعة عند الشعراء، مثل (العسقلاني)، حيث ضرب المثل لممدوحه بالقوة والحماية وتحمل المصائب بتراسل المعنويات والمحسوسات باستخدام (كم) التعددية التي دلت على كثرة قبض الشدة في يمينه، وهنا دلالة على صغر هذه المصائب، ثم يدعم هذه الصورة على شاكلة ما سبقها؛ وذلك بالنهوض بالمعالي، فجسدها، وجعل جزءًا من أثقالها لو حمل فوق جبل "يذبل" لم يستطع أن يتحمله فأطلق على الجبل صفات الإنسان بتشخيصه صفة النهوض، وهنا المكان أصبح له دلالتان، الأولى: التشخيص، والأخرى: التخييل المتوقع والمفترض، وذلك في دعم صورة المكارم والمعالي عند ممدوحه.

وهذا "ابن معتوق" يمدح "السيد بركة بن منصور خان" ويهنئه بعيد الفطر، ويصف في مقدمة مديحه الخمر، حتى قال:

أو لو أُريقَتْ فوقَ "يذبل" جرعةٌ منها لأصبحَ معدنَ الراهونِ(١)

فجبل "يذبل" هنا خيالي مفترض متوقع أن يكون (معدن الراهون) بشرط أن تراق فوقه هذه الخمر التي قام بوصفها.

---

(١) ديوان شهاب الدين الموسوي بن معتوق، مرجع سابق، ٣٣.

المكان المتخيل الرافض

لعل المكان المتخيل الرافض هو نقيض أو عكس المكان المتخيل المفترض المتوقع، فالعلاقة الجامعة بينهما الخيال والاشتراك في عدم التحقق، فمثلاً نجد "النابغة الجعدي" يقول في خطابه لـ"سوار بن أوفى القشيري":

مَرِحتَ وَأطرافُ الكَلاَليبِ تُتَّقى فَقَد عَبَطَ الماءُ الحَميمُ فَأسهَلا

فَإِن كُنتَ تَلحاهُ لِتَنقُلَ مَجدَناً لِسَبرةَ فانقُل ذا المناكِبَ "يذبل"

وَإِنّي لأرجو إِن أرَدتَ اِنتِقالَهُ بكفَّيكَ أن يَأتي عَلَيكَ ويَثقُلا(١)

أي: فرحت والرماح والسيوف حامية في المعارك، وقد جرى وسال العرق المتصبب في هذه المعارك الحاصلة علينا، وأنت تشمت وتلوم وتريد من ذلك نقل مجدنا، لكنك لن تستطيع نقله إلا إذا استطعت نقل مناكب "يذبل"، ثم يؤكد أنه لو حاول نقل "يذبل" بكفيه سيقضي عليه ويقتله، وقد شبه مجد قبيلته بمناكب جبل "يذبل" وكنى عن انتقال مجدها بـ"يذبل" عن قتل "ابن أوفى" بثقل "يذبل"، فالمكان "يذبل" هنا المشبهة متخيل مرفوض الحدوث والتغيير، وهذا ما طابق به قول "أبي طالب" في خطابه لـ"بني لؤي بن غالب" معترضًا عن ابن أخيه "رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) ديوان النابغة الجعدي، مرجع سابق، ص ١٢٨، ١٢٩.

فَـإِن كُنـتُمُ تَرجـونَ قَتـلَ مُحَمَّـدٍ فَرومـوا بِمـا جَمَّعـتُمُ نَقـلَ "يـذبل"

فَإِنّـا سَـنَحميهِ بِكُـلِّ طمـرَّةٍ وَذي مَيعَـةٍ نَهـدِ المَراكِـلِ هَيكَـلِ(١)

يقول: إنكم إن أردتم قتل محمد –صلى الله عليه وسلم– فلن تستطيعوا ذلك إلا إذا تمكنتم من نقل "يذبل"، وهنا إثبات القوة والتحدي والفخر والشجاعة وإثبات شدة الحماس بالاعتراض عن قتل رسول الله، بتشبيه هذا الموقف وهذه الحماية بثقل جبل "يذبل" ورسيانه وعدم زعزعته، وهنا أصبح المكان متخيلًا مرفوضًا؛ لشدة ترابط الواقع بالتمثيل والتشبيه الحقيقي المتخيل.

وهذا "أبو إسحاق الصابئ" يقول في عضد الدولة وأبي القاسم المطهر بن عبد الله:

مـولاي عبـدك حـالف لـك حلفـة تعيا مناكـب "يـذبل" عـن حملـها (٢)

فالمكان هنا لا يستطيع حمل حلفة الشاعر لمولاه، وهنا تفخيم لتثبيت مبالغة الولاء لأجل التصديق، مستخدمًا فيها الشاعر أسلوب الإقناع بالمبالغة في الإطلاق على الصفات المعنوية صفات حسية تقوم

---

(١) ديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، جمع وشرح: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٤ه، ص ٧٦.

(٢) ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، مرجع سابق، ج١، ص ١٣٨.

على الثقل غير المتوقع الذي رفضته مناكب "يذبل" من كبره وقوته وثقله.

المكان المتخيل الآمن

لعظمة جبل "يذبل" وكبره وثقله بين جبال شبه الجزيرة العربية أصبح ملجأً ومزبنًا آمنًا للصيد والسباع والجناة، وقد تناولنا الصيد وخاصة الوعل في مبحث مستقل برز "يذبل" فيه المكان الأليف المتعايش، وهذا دليل على كبر الجبل ومناعته، وما نورده في هذا المبحث يتناول المناعة والأمان في تصوير الشعراء الخيالي، كما يظهر ذلك في قول "كهمس بن شعيب الدوسي":

وألا نجاة لا مرئ من منيَّةٍ ولو حلَّ في أعلى شماريخ "يذبلا" (١)

نجد الشاعر يصور المكان الآمن في أعلى شماريخ "يذبل"، حيث يعد هذا أكبر أمانًا، لكنه في هذه الصورة لم يعد أمانًا من الموت.

ومن الصور المكانية المتخيلة الآمنة في رسم "يذبل" قول "ربيعة بن مقروم الضبي":

---

(١) سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري (ت: ٢٣٥ه)، المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم، طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٢٣ه، ص ٢٣.

وَإذا امـــرؤٌ مِنّـــا جَنـــى فَكَأَنَّـــهُ مِمّـا يَخـافُ عَلـى مَناكِـبِ "يـذبل"(١)

وقول "محمد بن الطُّلبة اليعقوبي" في ممدوحه الذي شـــبه حمـــاه بشماريخ جبل "يذبل":

ولعِـــزُّهُ إمّـــا احتَمَيـــتَ بطـــودهِ أحمى وأمنَـعُ مـن شمـارخِ "يـذبل"(٢)

وقول "صردر" في مدح الوزير السعيد جمال الدين أبي القاسم علي بن مسلمة:

مـن ذا يجاذبـه الفخـارَ وقـد لـوى أطنابَـــه في "يـــذبل" وأبـــانِ(٣)

فنجد الجاني من قوم (الضبي) لا يخاف، ويشبه شجاعته وأمنـــه بوجوده فوق مناكب "يذبل"، ويصرح (اليعقوبي) بمناعة وحماية شماريخ جبل "يذبل"، حيث شبه حماه بشمارخ "يذبل" لمناعتها.

---

(١) ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، تحقيق: تماضر عبد القادر حرفوش، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص ٤٧، وينظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات. مرجع سابق، ج١٤، ص ٦٤.

(٢) ديوان محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني (١١٨٨ه- ١٢٧٢ه)، شرح وتحقيق: محمد عبد الله بن الشبيه بن أبوه، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ص ٤٠١.

(٣) ديوان صردر، مرجع سابق، ص ١٦.

ونجد (صردر) يرمز لقوة ومناعة "يذبل" بربط أطناب بيته في "يذبل"، فهو مكان آمن لا يزعزعه ريح، وذلك بتشبيه ممدوحه في الفخر والثبات.

ويتضح أن النماذج السابقة قد دلت على المكان المتخيل الآمن الذي تجلى في أعلى الجبل، وذلك بكناية الشماريخ عن علوه، كما يظهر لنا بأنه أمنع وآمن مكان، حتى أصبح مضرب مثل عند الشعراء.

المكان المتوحش

ينتمي هذا المكان إلى المكان المتخيل، وإن انفرد بذاته، فربما يكون مضادًا للمكان الآمن، وإن ترابط في أصالة المكان، لكن الشعراء ميزوا بين صورهم المتخيلة بين الأمان وغيره، فمثلاً نجد "الأقيشر الأسدي" يقول في بني "الهجيم":

أيَهزَأُ بي العَبدُ الهُجَيمِيُّ ضِلَّةً وَمِثلي رَمى ذا التُدرَءِ المُتَضَلِّلِ

بِداهِيَةٍ دَهياءَ لا يَستَطيعُها شَماريخُ مِن أركانِ سَلمى وَ"يذبل"(١)

ويقول "ابن قلاقس" في مديح الحافظ السلفي:

(١) ديوان الأقيشر الأسدي، صنعة محمد علي دقة، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٥٢.

وهـــل أنـــا إلا نبعـــةٌ لمنيّـــة منضّـرةُ الأفنـــانِ في رأسِ "يـذبل"(١)

فالأقيشر يرسم شماريخ أركان سلمى و"يذبل"، –وهـــي رافضـــة متوحشة– فيرى عدم استطاعتها هذا الأمر المنكر العظيم الذي رمى بـــه وهو في المنعة والأمان عن أعدائه.

أما "ابن قلاقس" فشبه نفسه بأصل الموت، فجعـــل المـــوت كأنـــه شجرة وهو أصلها، وأفنانها جميلة تطل على الآخر من رأس جبل "يذبل"، فأصبح "يذبل" هنا متوحشًا بوجود جذع الموت فيه الذي أصبح يطل على كل الأنحاء، ولعل هذه الصورة أبلغ من صورة "الأقيشر" التي غلب عليها الرفض، وإن توحش المكان بعدم حملها واستقبالها، فـــ"ابن قلاقـــس" جعله مأوى ومقر لهذه الصفة التي أضفت عليه التـــوحش، بعكـــس مـــا عرف عنه من أمانٍ وحماية ومنعة.

المكان التشبيهي

قامت صورة "يذبل" عند معظم الشـــعراء الـــذين تنـــاولوه علـــى التصوير التحويلي أو ما يسمى بالتصوير التشـــبيهي، ولا تكـــاد تخلـــو صورة من هذا التصوير، وسنبرز فـــي هـــذا المطلـــب توضـــيحًا لهـــذا

(١) ديوان ابن قلاقس، مراجعة وضبط: خليل مطران، طبع بمطبعة الجوائب، مصر، ١٣٢٣هـــ، ص٨٥، وينظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(ت ٧٦٤هـــ)، الوافي بالوفيات، مرجع سابق ، ج٧، ص٢٣٢، لمنية وردت في الوافي بالوفيات(يمنية).

التصوير، فهذا "البحتري" يمدح "أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي" بقوله:

أغنى جَماعَةَ طَيِّئٍ عَمّا ابتَنَت آباؤُها القُدَماءُ لِلأبناءِ

فَإذا هُمُ افتَخَروا بِهِ لَم يَبجَحوا بِقَديمِ ما وَرِثوا مِنَ العَلياءِ

صَعِدوا جِبالاً مِن عُلاكَ كَأَنَّها هَضَباتُ قُدسَ وَ"يَذبُلَ" وَحِراءِ

وَاستَمطَروا في المَحلِ مِنكَ خَلائِقاً أصفى وَأعذَبَ مِن زُلالِ الماءِ(١)

يخص الشاعر ممدوحه بصفة الكرم الذي عرفت في قبيلته "طيّئ" منذُ القدم، حيث توارثها الأبناء عن الآباء، حتى إنهم أصبحوا لا يفتخرون بهذه الصفة؛ لأنها أصبحت سائدة عندهم كافة وعادة متوارثة، فالشاعر يخص ممدوحه بالمكارم والأخلاق التي جعلت أبناء قبيلته "طيئ" ينهلون من هذه الصفات التي شبهها بالجبال، وقومه يصعدونها، وكأنها جبال (قدس، و"يذبل"، وحراء)، ثم يستمطرونه صفاته من على الجبال، وهي أصفى وأعذب من الماء الزلال، فهنا شكَّل الشاعر لوحة تصويرية قامت على تشبيه مكارم الممدوح بالجبال، وقومه يصعدونها لرفعة مكانتهم وعزهم مفتخرين به، ونائلين من فضائله، مشبهًا هذه المكارم التي أصبحت مثل الجبال في الارتفاع، وهي تمطر من الفضائل ماءً زلالاً صافيًا وعذبًا.

(١) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ٨.

وفي مديح "البحتري" أيضًا لـ"مُرِّ بن علي الطائي" نجده يقول:

مَقاماتُهُم أركانُ رَضوى وَ"يذبل" وَأيديهِمُ بَأسُ اللَيالي وَجودُها(١)

نجده يشبه مقامات قوم ممدوحه قبيلة "طيّئ" بأركان جبلي(رضوى، و"يذبل")، ويشبه أيديهم في العطاء بجود الليالي، وقوتهم ببأس الليالي وشدتها. فالصورة هنا قامت على حذف أداة التشبيه (كأن)، ومثل هذه التصوير نجده عند "ابن هانئ الأندلسي"، يمدح الخليفة "المعز لدين الله"، ويشبه أركان جيش ممدوحه بأركان جبلي (عماية، ويذبل)، وهنا تظهر العظمة والقوة التيين أصبحتا مثل هذين الجبلين العظيمين في قوله:

ومُضْرَمَةِ الأنفاسِ جَمْرٌ وطيسُها شَرَنْبَثَةِ الكَفّينِ فاغرةِ الفَم

ضَرُوسٍ لها أبْناءُ صدْقٍ تَحُثُّهَا فمِنْ خادِرٍ وَرْدٍ وأشْجَعَ أيْهَم

رَدَدْتَ رِماحَيْهَا بأوّلِ لحظَةٍ وزعْزَعْتَ رُكْنَيْهَا بأوّلِ مَقْدَم

وأرْعَنَ يحْمُوم كأنّ أديمَهُ إذا شُرِعَتْ أرماحُهُ ظَهرُ شَيهَم

هَريتُ شُدوق الأسْدِ يُطوَى عجاجه على عَنْقَفيرٍ يأكلُ الناسَ صَيلَم

فأركانُهُ مِن "يذبلٍ" وعَمَايَةٍ وأعلامُهُ مِن أعفُرٍ ويَلَملَم

(١) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ٦٥٣.

إذا أخـذَتْ أعلامُـه صَـدْرَ مِقْنَـبٍ رأيـتَ شَـرَورَى تحـتَ نخـلٍ مكَمَّـم

أُسِـفَّ عليـهِ المِسـكُ والنَّقْـعُ مثلمـا أُسِـفَّ نَـؤورُ فـوقَ جِلْـدٍ مُوَشَّـم

يسـيرُ رُوَيْـدًا في الـوَغى وحَديـدُهُ يسـيلُ ذُعافًـا وهْـوَ غَـيرُ مُسَـمَّم

فما تَنْطِـقُ الأرماحُ غـيرَ تَصَلْصُـلٍ ولا تَرْجِـعُ الأبْطـالُ غـيرَ تَغَمْغُـم

فـيَملأ سَـمْعًا مـن رواعِـدَ رُجَّـفٍ ويمـلأ عَيْنًـا مـن بـوارِقَ ضُـرَّم(١)

أوردنا هذا النموذج المطوَّل لتتضح الصورة التي رسـمها "ابـن هـانئ الأندلسي" للجيش مستخدمًا لغةً قوية وتصويرًا بديعًا، ذاكـرًا فيـه قـوة أركان "يذبل".

(١) زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، مرجع سابق، ص ٦٧٦، ٦٧٩.

المبحث الثاني: "يذبل" والصورة

يعرض هذا المبحث تحريك الشعراء جبل "يذبل" الساكن، وكيف صوروه؟ ويعرض أساليب صورة "يذبل" التي برزت في تشخيصه مرة وتجسيده في موضع آخر.

تحريك الساكن:

إن القيمة الفنية للصورة تنبثق من الانحراف أو التغيير في الدلالة، حيث تنبثق اللفظة في الصورة من إطارها المألوف أو دلالتها المعجمية إلى إطار أو دلالة أخرى جديدة(١)، ومن الصور التي تناولها الشعراء في جبل "يذبل" تحريك الساكن، فقد حرك الشعراء هذا الجبل بصور متنوعة، وذلك باستخدام ألفاظ لها دلالات على صور متعددة مثل قول "ابن الرومي" يمدح أبا الصقر:

وإذا وقرتَ أو اهتَزَزْتَ لصولةٍ أرسى يلملمُ أو تزعزعَ "يذبل" (٢)

وقول "أبو إسحاق الصابي" في عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة:

وكم تثبت الحوباء في شبح به جروح دوام من مناحة النكد

---

(١) حسن طبل، المعنى الشعري في التراث النقدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٨ه، ١٩٩٨م، ص ٨٨، ٨٩.

(٢) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، مرجع سابق، ج١، ص ٤٥٧.

أليمات وقع لو تكون بـ"يذبل" تضعضع ركناه تضعضع منهد(١)

وقول "ابن هانئ الأندلسي" في مدح القائد "جوهر":

وأدركتَ سُولاً في ابن واسول عَنوةً وَزَحزَحتَ منه "يذبل" فتزَحزَحا(٢)

وقول الوزير الكاتب "أبو محمد بن سفيان" يخاطب "القادر بالله يحيى بن ذي النون":

رمدت عيون الحاسدين أما ترى قمر العلى والمجد ليلة يكمل

ما الذنب عندهمُ ودونك فاخبرن إلا هوى بالمكرمات موكل

همم إلى صرف العلى مصروفة وحجى أقام وقد تزحزح "يذبل"

---

(١) عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت: ٤٢٩ه)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٠.

(٢) ديوان ابن هانئ الأندلسي، مرجع سابق، ص ٧٨.

وبلاغــةٌ وبْــلُ أجَــرَّتْ ألْسُــنَا(١) وغــدت تعلــة مــن يقــيم ويرحــل(٢)

نجد جبل "يذبل" عند الشعراء تختلــف صــورة تحريكــه بلفظــة المضارع الخماسية التي تنوعت في ثلاثة أشكال، وقــد تكــون بمعــان متقاربة، فنجده مرة (تزعزع)، وأخرى (تضعضع)، وثالثــة (تزحــزح)، وكلها وردت على وزن (تَفَعْلَلَ)، وذلك بتسكين العــين، وتحريــك بــاقي الحروف، ونجد أن هناك اتفاقًا حرفيًّا بين الحروف، فمجمــوع حــروف الكلمات الثلاث خمسة عشر حرفًا، ولكنها مشتقة من خمسة أحرف هي: (ت . ض . ع . ز . ح)، والتكرار الموسيقي المتوازن جعلها تدور في قالب واحد، فكل كلمة لا تخرج عن ثلاثة أحرف، ولعــل حــرفَ التــاء المتقدم في كل كلمة هو المشترك في هذه الحروف، ونجد حرفي الــزاي والعين متكررين مرتين، وفي كلمتين، أما (الضاد والحــاء) فمتكــرران مرتان، كل حرف في كلمة على النحو التالي:

---

(١) وفي هامش الديوان وردت عدة صور مختلفة بين المخطوطات وهي التالية: (وبلاغة بلغت بآفاق الدُّنا)، (وبلاغة أصبحت حيال عقولهم)، (وبلاغة أوفت على قمم السنا).

(٢) الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان(ت: ٥٢٩ه)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط١، ١٤٠٩ه، ١٩٨٩م، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

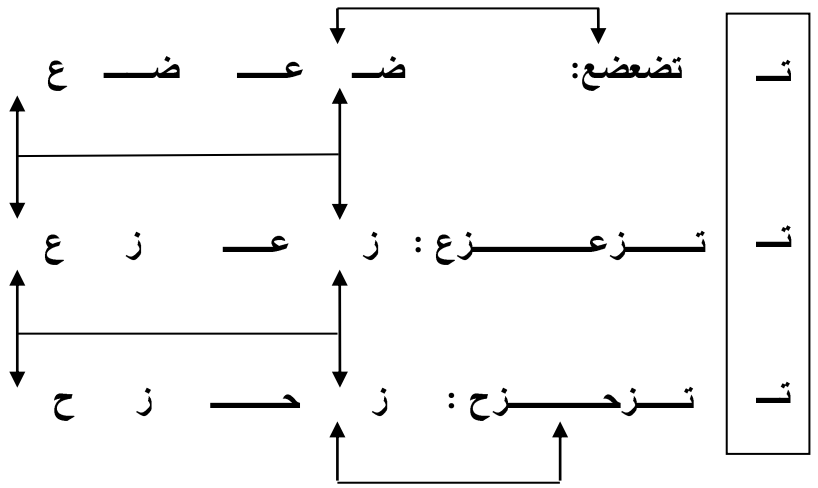

ولعل هذا التشكيل اللفظي الذي قام على إيقاع موسيقي كان له دور بارز في تحريك الساكن، والدلالة على معنى متقارب، فمثلاً نجد جبل "يذبل" عند "ابن الرومي" يتزعزع، وذلك مقابل لاهتزاز الممدوح عند الحرب في استعداده وتحركه لها؛ فقد شبه الشاعر شجاعة الممدوح وقوة عزيمته بتزعزع جبل "يذبل" رهبةً منه، وهنا المعنى دالٌّ على الحركة يمنة ويسرة قليلاً، والتي شبه بها الشاعر الشجاع الثابت الذي يرفع قدمًا ويثبت قدمًا والعكس، ويتمايل وجسمه مستقيم، وهو مؤجج بالسلاح وعليه أثقال الحديد من الدروع والأسياف وغيرها، فشبه الشاعر حركة ممدوحه في الحرب بقوة الجبل وصلابته وثقله، وهذا دلالة على الشجاعة والثبات ، كما نجد أن هذا التقابل يظهر في صدر الشطر الأول وصدر الشطر الثاني بقوله: (إذا وقرت... أرسى يلملم)، ويعد التقابل الآخر في قوله: (أو اهتززت لصولة...أو تزعزع "يذبل")، وفي ذلك دعمٌ للتقابل الأول الدال على الثبات والقوة، فتحريك الساكن هنا فيه دلالة على

القوة والثبات، وذلك بصورة متخيلة توحي بتمايل الجندي وهو مدجج بالسلاح يمينًا ويسارًا، وهو في ثغره مرابط مهما كبر عدوه أو صغر.

وبتقارب الصورة مع "أبو إسحاق الصابي" في عضد الدولة؛ إذ يمدحه بالثبوت والشجاعة عند الحرب وفي المعارك، وذلك بقوله: "وكم نثبت الحوباء"، وقد دلت "كم" الخبرية التي تفيد التعددية على الكثرة، والتي شبه كبر المعارك وقوتها وصعوبة مرارتها والمصائب فيها في ثباته وشجاعته بها، ولو أنها وقعت على جبل "يذبل" الذي عرف بالكبر والصلابة والقوة لتضعضع ركناه، أي: قوتاه، والتضعضع هنا: التحرك المنفصل في كل جزءٍ منه في وقت واحد والصادر من الوسط، فكأن وسط الجبل الذي يعد ركيزة القوة سقط إلى الأسفل، وأصبح وسطه كأنه في هوَّةٍ، وعند تضعضعه ينهد في الداخل، وقد أكد على ذلك بقوله: "تَضَعْضُع مُنْهَدِّ" ، وهنا إشارة إلى قوة الممدوح، وأن ثباته وقوته نابعان من صلابته العميقة التي قامت على صفة الشجاعة والقوة التي نمت من صلابة قلبه، وأصالة شجاعته.

وقد ماثل هذا المعنى في تصوير الشجاعة قول "البحتري" في مدح "المعتز" وابنه "عبد الله":

وَلَنَا بِعَبدِ اللَهِ بَحْ ... رٌ مُعْرِضٌ لِلنَاسِ وِردُه

ثَانِي الخَلِيفَةِ فِي النَدى ... وَشَبِيهُهُ كَرَماً وَنِدُّه

أيدٌ شَدِيدٌ لَو يُصا ... رِعُ "يذبل" أنشا يَهُدُّه

وَعَزِيمَـــــةٌ يُمضـــــي بِهـــــا فَصـــلَ الخِطـــابِ فَمـــا يَـــرُدُّه(١)

فالشاعر يصور ممدوحه في قوته بهد جبل "يذبل"، وهنا تحريـك الجبل الساكن بصورة مغايرة تبـدو بتشـخيص الجبـل فـي اسـتقبال المصارعة فقط، أما صورة الانهداد فتبقى على صورة الجماد، حيـث إن الإنسان لا ينهد، وإنما يسقط، لكن الشاعر جعل حركة الجبـل السـاكن القوي الثابت سريعة، وذلك بالانهدام، وهي مقاربة لصورة التضعضـع، وهي صورة كلية بدت كأنها التضعضع في جميع أجزاء الجبل، وقد تلحق هذه الصورة بالصورة الثانية في السرعة والكلية، لا سيما أن الانهـداد يكون كليًّا متوازيًا، وربما يكون داخليًّا وخارجيًّا، عكس التضعضع الـذي يكون سقوطه داخليًّا.

أما الصورة الثالثة فقد وردت في تزحزح جبل "يذبل" عنـد "ابـن هانئ"، حيث رمز لعدو ممدوحه بجبل "يذبل"، حيث يعد ممدوحه هو مـن زحزحه، فهو يمدح القائد جوهرًا الذي قتل "ابن واسل" أمير "سِجِلْمَاسَةَ"، وهنا إشارة لقوة الممدوح "جوهرٍ" الذي استطاع أن يتخلص مـن "ابـن واسل"، الذي يشبهه بجبل "يذبل"، وربما شبه جيشه، وهنا رمـز لعـدو الممدوح بجبل "يذبل"، وذلك في القوة والثبات، فجبل "يذبل" لا يسـتطيع إزاحته إلا الله، وهذا ما شبه الشاعر به خصم ممدوحه.

فصورة تحريك الجبل الساكن هنا تصبح تحريكًا كليًّا، وقد تكررت هذه الصورة عند "الوزير الكاتب أبي محمد سفيان" في ممدوحه " القادر

(١) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ٦١٥.

بالله"، إذ مدحه بثبات العقل ودوامه، وذلك في صورة ضدية، حيث يتزحزح جبل "يذبل"، وعقله ثابت لا يتحرك ولا يتزحزح.

ونجد هنا تنوعًا في الصور الثلاث السابقة، وذلك باختلاف ألفاظها التي تفيد كلها التحرك في مقابلة الممدوح بالثبات، وهذا تأكيد على دعم قوة صفة الممدوح .

وهناك فارق بين صورة تحريك جبل "يذبل"، فنجد "التزعزع" يحدث من نصف الجبل إلى الأعلى، وبمرحلة واحدة ويكون في كتلة واحدة، فيتحرك أعلى الشيئ مجتمعًا، أما "التزحزح" فيكون جميع الجبل وفي كتلة واحدة عكس "التضعضع" الذي يحدث في جميع أجزاء الجبل وكأن وسطه يسقط إلى الأسفل، فيصبح وسطه به هوة فيسقط جزءًا جزءًا إلى الداخل، ويلحق بهذه الصورة الانهداد الذي يقوم على السقوط الكلي السريع في جميع الأجزاء داخليًّا وخارجيًّا.

وكانت هناك دلالات في هذا التصوير تقاربية بين صفات الممدوح وعلاقته بكل صورة، مما جعلها تضفي خيالاً متحركًا له أبعادٌ فنية ورمزية وإيحائية.

ولم تكن هذه الصورة هي الصورة الوحيدة التي تناول بها الشعراء تحريك جبل "يذبل"، فنجده مرة يتصدع ومرة ينقض وأخرى يذوب، وهنا صورة متحركة خيالية تقوم على تحريك جزئي أو كلي، فمن أمثلة تحريك جبل "يذبل" الجزئي (الانصداع، والانقضاض)، وذلك واضح في قول "زيد الخيل" :

أتتني لسان لا أسر بذكرها تصدع عنها "يذبل" ومُوَاسِلُ

وقد سبق الريانُ منه بذلة فأضحى وأعلى هضبهِ متضائلُ(١)

وقول "البحتري" في مديح "أبي نهشل محمد بن حميد الطوسي":

لَهُ فِكَرٌ بَينَ الغُيوبِ إِذا اِنتَهى إِلى مُقفَلٍ مِنها فَهُنَّ مَقالِدُه

صَواعِقُ آراءٍ لَو اِنقَضَّ بَعضُها عَلى "يذبل" لَانقَضَّ أو ذابَ جامِدُه(٢)

الانصداع هو الشق الذي يشبه الاستقامة، ويكون من الأعلى إلى الأسفل، أما الانقضاض فيشبه الانهدام غير أنه ليس كليًّا، بل يكون جوانبه وأعلاه وغالبًا ما يبقى منه الوسط والأساس. ولكن "البحتري" تناول في تشبيه آراء ممدوحه بالصواعق في قوتها وسرعتها بأنها لو انقضت على جبل "يذبل" لانقضّ أو ذابت صخوره الجامدة، وهنا تبدو الصورة المتحركة في الساكن المشبه بها كلية وليست جزئية، ومتنوعة من الانقضاض إلى الذوبان التي أشبهها الذبول في موضع سابق، وهنا تحولت الصورة من متحركة إلى سائلة.

(١)ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مرجع سابق م٥، ص ٢١٩، وينظر: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٩٠.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ٥٨٥.

أساليب صورة "يذبل"

إن قيمة الشعر تنبثق –غالبًا– من لغته التصويرية المحسوسة التي تجسد المعاني والمشاعر، في هيئات وأوضاع بشرية عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو التمثيل، ومعنى ذلك أن الشعر إنما يقوم بوظيفته الفنية حين يقدم صورًا يدركها المتلقي إدراكًا حسيًّا؛ فتؤثر في وجدانه، وتنفذ إلى مشاعره(١)، ومن أبرز أساليب الصورة التي تناولها الشعراء في جبل "يذبل" التشخيص والتجسيد، فهناك شعراء شخصوا الجبل، وأطلقوا عليه صفات إنسانية، سواء أكانت خلقية أم معنوية، وهناك آخرون جسدوه، فأطلقوا عليه صفات جسدية حتى أصبح كأنه جسم، وقد تبرز هذه الصور عند توضيح ذلك بالنماذج التي تمثل هذه الصورة.

تشخيص "يذبل"

شخّص الشعراء جبل "يذبل"، فخاطبوه وأطلقوا عليه صفات إنسانية من خلال رسم الصورة الفنية التي عبرت عن إبداعهم وأفكارهم، والتي دعمتها هذه الأفكار المؤنسنة من شفقة وشعور ودعاء وشكوى وغير ذلك، من هذه النماذج قول "الفرزدق" في رثاء أخيه:

وَلَو شَعَرَ الأجبالُ دَمخٌ وَ"يذبل" لَمالا بِأعرافِ الذُرى وَالمَناكِبِ(٢)

(١) حسن طبل، المعنى الشعري في التراث النقدي، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٢) ديوان الفرزدق، مرجع سابق، ص ٨٠.

وقول "البحتري" يمدح "يعقوب بن أحمد بن صالح بن شيرزاد" ويعتذر إليه:

أقولُ لِيَعقوبَ بنِ أحمَدَ وَالنَدى ... يَرومُ بِهِ العَوصاءَ لَيسَ تُرامُ

تَكاليفَ فِعلٍ لَو عَلا الأَرضَ ثِقلُهُ ... شَكا "يذبل" ما نابَهُ وَشَمامُ

لَأَظلَمَ ما بَيني وَبَينَكَ مُضحِياً ... وَلِلظلمِ بَينَ الخُلَّتَينِ ظَلامُ

أُذَكِّرُ أَيّامَ المُصافاةِ بَعدَ ما ... تَجَرَّمَ عامٌ بَعدَهُنَّ وَعامُ(١)

وقول " جعفر بن عثمان المصحفي" الحاجب الوزير:

أما -والهوى -ما كنت أعرف ما الهوى ... ولا ما دواعي الشوق حتى تكلما

دعاني بلفظ لو دعا "يذبل" به ... للباه مشتاقاً ووافاه مغرما(٢)

وقول "الشريف الرضي":

---

(١) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ٢٠٦٨، ٢٠٦٩.

(٢) محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م،ج١، ص ٢٦٠.

غَرائِبُ لَو هُدَّت عَلى الطَودِ ذي الصَفا أصاخَ إِلَيها "يذبل" وَالقَعاقِعُ(١)

ويقول الفقيه القاضي أبو الحسن بن زنباع-رحمه الله تعالى- في صاحب كتاب القلائد أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان:

ولو لم يكن إلا وداعك وحده لأشفق منه "يذبل" ويلملمُ(٢)

نجد "الفرزدق" يطلق حاسة معنوية خاصة بالإنسان أكثر من غيره على جبل "يذبل" و"دمخ"، وهي الشعور بالإدراك والعلم، بل يضفى -على هذه الصفة المعنوية- صفة حسية، وهي التجسيد، فقد جسم الشاعر -في الشطر الثاني- هذين الجبلين، وجعلهما يميلان بظهريهما ومناكبهما.

وهذا "البحتري" يؤنسن جبلي "يذبل" و "شمام"، وجعلهما يشكيان ثقل فعل الممدوح "يعقوب بن شيرزاد"، الذي لو ظهر على الأرض لزاحم هذين الجبلين اللذين أثبت الشاعر كبرهما وثقلهما بشكايتهما هذا الفعل، الذي استطاع الشاعر -بوصفه التصويري- أن يماثل به هذين الجبلين ويجسد فعل الممدوح، ويشخص المشبه به جبلي "يذبل" و"شمام"، فأطلق عليهما صفة الشكاية والإحساس.

---

(١) ديوان الشريف الرضي، مرجع سابق، ج١، ص ٥٠٥.

(٢) الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان(ت: ٥٢٩هـ)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، مرجع سابق، ص ٧٠٠.

أما "المصحفي" فيطلق عددًا من الصفات المعنوية التي يتصف بها الإنسان، وذلك عند ذكر ممدوحه "الحاجب الوزير" والاستجابة له في الطاعة والسماع بقوله: (دعاني بلفظ) مشبهًا نفسه بـــ"يذبل" الذي جعله لو سمع هذا الدعاء للبَّى مشتاقًا لحبه ومغرمًا بوفائه، وهنا ربط الشاعر الاستجابة في تلبية ممدوحه بالجبل الأصم الذي تحدث وأحس، فكأن له قلبًا يحب ونفسًا تشتاق.

وقد وافق "الشريف الرضي" بصفة معنوية قريبة، وهي الإصاخة، والاستماع، فجعل جبلي "يذبل" و"القعاقع" تستمع لصوت الغرائب التي تنهدّ على صفاء الطود، وقد نجد الشاعر يجسد الغرائب فكأنها مجسم حينما يُلْقَى يحدث أصواتًا، قد يصيخ لها جبلا "يذبل" و"القعاقع" من شدة وقعها.

وأما "الفقيه القاضي" فأطلق –على جبلي "يذبل" و"يلملم"– صفة الشفقة التي تلازم الإنسان عند حب شخص أو أمرٍ ما.

جاء تشخيص جبل "يذبل" جوابًا لامتناع الشطر الأول الذي بدأ بـــــ"لو" في قول الشعراء السابقين: (لو شعر الأجبال – تكاليف فعل لو علا الأرض ثقله – دعاني بلفظ لو دعا "يذبل" به – غرائب لو هدت على الطود ذي الصفا – ولو لم يكن إلا وداعك وحده).

ونجد الأفعال الأولى جاءت ماضية في قول الشعراء (شعر – علا – دعا – هدّت – غلا)، وأيضًا نجد ثلاثية الأفعال بما فيها (هدّت) وأصلها (هدّ) الثلاثي: هدد، كما نجد فارقًا ربط "يذبل" سواء أكان بمفرده أم كان معه غيره مع الأول في مثال (الفرزدق) ومثال (جعفر المصحفي)، الذي جعل الرفض والامتناع يظهر في استجابة "يذبل"، سواء بميلانه أم

بشوقه وغرامه، وذلك لامتناع الشرط، وقد اقترن الجواب في هذين المثالين باللام المطلقة في قوله: "لمالا – للباه" بالإضافة إلى مثال "القاضي بن زنباع" في قوله: "لأشفق"، وقد نجد مثال "البحتري" و"الشريف الرضي" تجرد الجواب الممتنع من اللام في قوله: " شكا– أصاخ".

تجسيد جبل "يذبل"

من أساليب بناء الصورة في "يذبل" تجسيد الجبل، وإطلاق صفات حسية عليه، فيجسم جبل "يذبل" على شكل جسد إنسان أو حيوان، ونجد الشعراء يجعلون له أنفًا وقرونًا وهامةً ومناكبَ، فيقول "أبو تمام" مادحًا ومعاتبًا "محمد بن عبد الملك الزيات":

فَما هَضَبَتا رَضوى وَلا رُكنُ مُعنِقٍ وَلا الطَودُ مِن ثُدسٍ وَلا أَنفُ "يَذبُلِ"

بِأَثقَلَ مِنهُ وَطأَةً حينَ يَغتَدي فَيُلقي وَراءَ المُلكِ نَحراً وَكَلكَلا

مَنيعُ نَواحي السِرِّ فيهِ حَصينُها إِذا صارَتِ النَجوى المُذالَةَ مَحفِلا(١)

أطلق الشاعر –في هذه الأبيات على الجبال التي وصف بها الثقل وطأة ممدوحه– صفات حسية بالإضافة إلى صفات الجبال، فيصف

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٤، م٣، ص ١٠١، ١٠٢، وينظر: : عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٤، ص ١٢٤٥.

"رضوى" و "معنق" بالهضبة، ويصف جبل قدس بالطود، أما "يذبل" فيجسده ويجعل له أنفًا كأنه إنسان أو حيوان، ولعل دلالة ذلك على أحد رءوسها أو شماريخها التي تكررت كثيرًا، كما نجد هذا الجسد يستمر عند عدد من الشعراء، فـ"حسين بن عبد الباقي الأزهر" يجعل لها هامة في قوله:

هل امتطى هوجاء مشرفة المطا شمًّا كأني فوق هامةِ "يذبل"(١)

فيشبه امتطاءه راحلته وارتفاعها بوجوده فوق هامة رأس جبل "يذبل"، وهنا شبه الشاعر ما يلبسه أو يجعله من لحاف وغيره تحته بالهامة التي تلبس فوق الرأس، وهنا كأن جبل "يذبل" له رأسه.

والقرنان من التجسيد الذي وصف به جبل "يذبل"، وذلك فيما قال "هارون بن فلان المولى، مولى الأنصار، قصيدته التي ذكر فيها خروجَه في الحرب إلى فيل في هذه الصفة، فمشَى إليه، فلما كان حيث يناله السَّيف وثب وَثْبَةً أعجله بها عن الضَّربة، ولصق بصدْر الفيل، وتعلّق بأُصول نابيه – وهما عندهم قرناه – فجال به الفيل جولة كاد يحطمه مِن شدَّة ما جال به، وكان رجلاً شديد الخَلْق، رابط الجأش، قال: (فاعتمدت وأنا في تلك الحال – وأصول الأنياب جوف – فانقلعا من أصلهما، وأدبر

(١) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحضرمي اليمني الهندي (ت: ١٠٣٨ه)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو وآخرين، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص ٥٢٠.

الفيل، وصار القرنان في يديَّ، وكانت الهزيمة وغنم المسلمون غنائم كثيرة، وقلت في ذلك):

مشيتُ إليه وادعاً متمهِّلا ... وقد وصَلُوا خُرطومَه بحُسَامِ

فقلتُ لِنفسي: إنّه الفيلُ ضاربٌ ... بأبيضَ مِن ماءِ الحديد هُذَامِ

فإنْ تَنْكلي عنْه فعذْرُكِ واضحٌ ... لَدَى كلِّ منخُوب الفُؤَادِ عَبامِ

وعندَ شُجاع القومِ أكلفُ فاحمٌ ... كظُلمة لَيْلٍ جُلِّلت بقَتامِ

فناهَشْتُه حَتى لَصِقتُ بصدْره ... فلما هوى لازَمْتُ أيَّ لِزامِ

وَعذْتُ بِقَرْنَيْهِ أُرِيدُ لَبَانَهُ ... وذلك مِن عاداتِ كلِّ محامِي

فجَال وهجِّيراهُ صوتُ مُخَضْرَمٍ ... وَأُبْتُ بقرْنَيْ "يذبل" وشَمامِ (١)

الشاعر يشبه قرني الفيل وقوتيها بقرني "يذبل" و"شمام"، وهنا تجسيد؛ حيث جسد الشاعر ركن جبل "يذبل"، وشبه قرن الفيل بركن جبل "يذبل"، وأضفى –على ركن جبل "يذبل"– صفة حسية تجسيدية، فأصبح كأنه قرن، ولعل ذلك مثل وصفه للجبل أيضًا بالأنف، ولعل ذلك كما قلنا بشماريخ.

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٨٧ه،١٩٦٨م، ج٧، ص ١١٤، ١١٥.

ولعل تجسيد جبل "يذبل" يكتمل عند الشعراء بوصفه بالمناكب فكأن له مناكب بالإضافة إلى الصفات السابقة القرن والأنف والرأس، وقد تكرر هذا الوصف كثيرًا، ومن أهمها قول "جرير" يجيب الفرزدق ويهجو "محمد بن عمير بن عطارد" و"الأخطل":

لا يَخفِيَنَّ عَلَيكَ أنَّ مُحَمَّداً مِن نَسلِ كُلِّ ضِفِنَّةٍ مِبطانِ

إن رُمتَ عِندَ بَني أُسَيدَةَ عِزَّنا فَانقُل مَناكِبَ "يذبل" وَذِقانِ

إنّا لَنَعرِفُ ما أبوكَ بِحاجِبٍ فَالحَق بِأصلِكَ مِن بَني دُهمانِ(١)

ويقول "البحتري" يمدح "المعتز بالله":

أيقَظتُموهُ وَنِمتُمُ عَن صَولَةٍ طَحَنَت مَناكِبَ "يذبل" وَشَمامِ(٢)

هنا نجد جريرًا والبحتريَّ يحركان مناكب "يذبل" و"ذقان" و"شمام"، لأمرين، الأول: عدم العزة عند بني أُسَيْدة، وذلك إثبات وتأكيد على هجائه لاستحالة نقل مناكب جبل "يذبل" و"ذقان" عن محلها، أما الثاني: فيدل على شجاعة ممدوحه وصولته في الحرب بطحن مناكب "يذبل" و"شمام"، أما "ابن هتيمل" فنجده يشبه عزم ممدوحه بمناكب جبل "يذبل" وجبل

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مرجع سابق ص ١٠١١.

(٢) ديوان البحتري، مرجع سابق، ص ٢٠٢١.

عسيب، وهنا دلالة على الشموخ والقوة والارتفاع، وذلك في مدح الأمير "فخر الدين أحمد بن علي الحرامي الكناني" بقوله:

خُلُــقٌ كحاشــيةِ الرَّبيــعِ وعَزمَــةٌ تُــوهي مَناكِـبَ "يــذبل" وعســيبِ(١)

رسمت الأمثلة السابقة اكتمال تجسيد جبل "يذبل" بالمناكب، فأصبح هذا الجبل كأنه جسم أو جسد له مناكب وهامة على رأسه وأنف وقــرن، وكل ذلك للدلالة على أركانه وكثرة شماريخه وأطرافه التي أشبهت الأنف والقرن والرأس والمناكب.

(١) ديوان القاسم بن علي بن هتيمل مرجع سابق، ص ١٦٠.

المبحث الثالث: "يذبل" بين الرمز والتأثير

يعرض هذا المبحث رمزية "يذبل" عند الشعراء، بالإضافة إلى تأثر الشعراء فيما بينهم، فتبرز صورة "يذبل" من خلال الرمز والتأثر.

جبل "يذبل" رمزًا

"إن صناعة الرموز تتبع آليات أقل كثافة وأكثر شفافية تهتم بالتوصيل الدلالي والشعوري، ولا تعتمد على مجرد الإيحاء المبهم العميق، وهناك معايير نقدية لقياس الرمز في النص الشعري من ناحية الطول والعمق، وهي تعتمد في جملتها على درجتي الانتشار والكثافة ومداهما؛ إذ يمكن للرمز أن يستغرق القصيدة بأكملها، ويمكن له أن يشغل جزءًا مهمًا منها يقع في جملة مقاطع أو أبيات، كما يمكن ألّا يمتد بهذا الشكل، بل يظل محصورًا في نطاق محدود من القصيدة، الأمر الذي يؤثر في عملية التشكيل الرمزي، ويحدد مداها نوعيًّا"(١)،

وهذا "أحمد محرم"يرمز بجبل "يذبل" و"رضوى" و"شمام" إلى "خالد بن الوليد"، و"عمرو بن العاص"، و"عثمان بن أبي طلحة" حينما قدموا على رسول الله–صلى الله عليه وسلم– مسلمين، وذلك لشموخها وعلوها وكونها من الجبال المشهورة والمعروفة بالقوة والصلابة والثبات، وهنا دلالة توافقية، وذلك في قوله:

سرَّته مَكَّةُ إذ رَمَتْ أفلاذَها كَبِداً تُكِنُّ الحُبَّ والإعظاما

(١) صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، مرجع سابق، ص ١١٣.

بعثَتْ إليهِ من الجبالِ ثلاثةً رَضوَى يُصاحِبُ "يذبل" وشِماما(١)

وهذا "القاسم بن علي بن هتيمل" يمدح "الملك المظفر الرسولي" ذاكرًا أعداءه ومشبهًا ممدوحه بجبليّ "يذبل" و"متالع" حينما هزه الأعداء والخصوم، وذلك في الثبات والقوة والشدة وعدم اللين، وذلك في قوله:

أضحَت حُصُونُ مُحارِبيكَ بَلاقِعا وَسَقَيتَ مَن عاداكَ سُمّا ناقِعا

وَبَرَقتَ لِلمُتَمَرِّدينَ صَواعِقاً مطرت عَلَى المُتَمَردينَ صَواقِعا

عافُوا الرَّدَى غَضبا وَرُضتَ صِعابهَم فَجَنَوهُ مِن وَرَقِ الصَّوارِمِ يانِعا

هَزُّوكَ مُختَبِرينَ حالَكَ في الذي رامُوا فَهَزُّوا "يذبل" ومَتالِعا(٢)

رمز الشاعر "للملك المظفر" بجبل "يذبل" في ثبوته وعدم اهتزازه، ونجد هذا الرمز يتكرر عند "سراج أبي بكر بن وعاس" في تهنئته "للسلطان الملك المظفر" سنة ٦٤٧ه بما فتح الله عليه بقوله:

إن غاب أفق الملك عن أفق العلا فانظر ضياءَ الشمس قد ملأ الملا

---

(١) أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية، أشرف على تصحيحه محمد إبراهيم الجيوش، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ص ٢٦٣.

(٢) ديوان القاسم بن علي بن هتيمل، مرجع سابق، ص ١٢٥.

أو كان جفن الملك أمسى أرمدًا فاليوم أصبح بالمظفر أكحلا

لا تجزع الدنيا لفقد مليكها رزئت برضوي واستعاضت "يذبل"(١)

أورد "ابن وعاس" صورتين متقابلتين: الأولى الملك المتوفى، والأخرى صورة ابنه الملك الذي خلفه؛ فنجد في الأولى الغياب وعدم الارتفاع فوق أفق العلا، الذي قابلها بالنظر في ضياء الشمس الذي ملأ كل الملأ، وذلك في تشبيه الابن، فالملأ أوسع وأشمل من الأفق، وفي صورة أخرى ظهرت الأولى حسية رمداءالجفن، وتظهر في الماضي بقوله: (أمسى)، ولكنه قابلها في الحاضر بقوله: (فاليوم أصبح)، فجعل الصورة الأخرى متفائلة؛ حيث صور جفن الملك متكحلاً بالمظفر، وهنا أصبحت الصورة متقابلة في الماضي والحاضر؛ إذ برز في الماضي الغياب والرمد، وفي الحاضر الوجود وضياء الشمس والكحل، ثم يرمز عن الصورة الأولى بجبل "رضوى"، وعن الصورة الثانية بجبل "يذبل" بقوله: " واستعاضت "يذبل"".

وهذا "أبو تمام" يرثي ابني "عبد الله بن طاهر" وكانا صغيرين، ويرمز لهما بعدة جبال، منها "رضوى" و"يذبل" و"متالع" و"يلملم" و"مواسل" فيقول:

---

(١) علي بن الحسن الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، الفجالة، القاهرة، ١٣٢٩ه، ج١، ص ٩٢.

حِقفانِ هالَهُما القَضاءُ وَغادَرا قُلَلاً لَنا دونَ السَماءِ قَواعِلا

رَضوى وَقُدسَ وَ"يَذبل" وَعَمايَةً وَيَرمرَماً وَمُتالِعاً وَمُواسِلا (١)

وهذا "أبو عامر الأصيلي" يقول في رثاء له:

إلى أي طود يُسْنَدُ الشعر بعده وقد حط منه الدهر أركان "يذبل"(٢)

فرمز بأركان "يذبل" إلى هذا الشاعر المتوفى، متسائلاً عن إسناد الشعر بعد هذا العلم الذي شبهه بأركان "يذبل".

وقد تكررت رمزية جبل "يذبل" في الرثاء وخصوصًا في المتوفى، حيث يرمز له الشاعر بـ"يذبل"، وربما يقرنه بعدد من الجبال، أمثال: "قدس، وأبان، وحراء، ويرمرم".. وغيرها، مثل قول "أبو هلال العسكري":

سائل القبرَ: كيفَ أضمرتَ قدساً وأباناً و"يذبل" وحِراءَ

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، م٤، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مرجع سابق، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص ٨٦٦.

من رأى البدرَ بالتراب توارَى أو على ذروةِ النعوشِ تراءَى(١)

وقول "البحتري" في رثاء حميد الطوسي وأولاده:

أقَبرا أبي نَصرٍ وَقَحطَبَةٍ هُما بِحَيثُ هُما أم "يذبل" وَيَرَمرَمِ (٢)

وقد رمز الشعراء بجبل "يذبل" ومعه مجموعة جبال وأماكن، وذلك رمز للبقاء والثبوت، كما نجد في قول"علي بن حزم الأندلسي" في "الرقيب":

يطيل جلوساً وهو أثقل جالس ويبدي حديثاً لست أرضى فنونه

شمام ورضوى واللكام و"يذبل" ولبنان والصمان والحرب دونه(٣)

يرمز "ابن حزم" عن عدم قيام الرقيب ببقاء "شمام، ورضوى، واللكام، ويذبل، ولبنان والصمان"، مؤكدًا على هذا البقاء بوجود الحرب التي تقف دونه.

ويتجلى الخيال في رسم الصورة التي ارتبطت بجبل "يذبل" في عدد من النماذج الشعرية الراقية، مثال ذلك ما قال "أبو العلاء المعري":

---

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ه، ج١، ص ٥٢٩.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مرجع سابق، ص ١٩٤٦.

(٣) علي بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ه)، طوق الحمامة في الإلفة والألاف، مكتبة عرفة، دمشق، ص٤٧

وَلَعَلَّ مَكَّةَ في السَماءِ كَمَكَّةٍ وَبِها نِضاد وَ"يذبل" وَيَلَملَمُ(١)

يقول المعري: ربما توجد مكة في السماء مثل مكة الموجودة على الأرض، وربما كان بها الجبال العظام، مثل: "نضاد، ويذبل، ويلملم"، وهي صورة بديعية متفردة.

وقال "السراج الوراق" في رثاءٍ له:

لله ما ضم التراب من حجى يطيش رضوى عنده و"يذبل" (٢)

يقول السراج: إن من ضمه الثرى وما كان يملكه من عقل يجعل جبليْ رضوى و"يذبل" يضطربان وينجرفان عن موضعيهما. ويقول "أبو العلاء المعري" أيضًا:

لَو كانَ غُصناً في المَنابِتِ ناضِراً لَألَمَّ "يذبل" "يذبل" ويَلَملَمُ(٣)

---

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، أبو العلاء، (ت: ٤٤٩ه)، شرح اللزوميات، تحقيق: زينب القوصي، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ج٣، ص ١٠٠.

(٢) محمد شاكر الكتبي (ت: ٧٦٤ه)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م ٤، ص ٢٩٦.

(٣) أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، أبو العلاء، (ت: ٤٤٩ه)، شرح اللزوميات، مرجع سابق، ج٣، ص ١٠٦.

فنجد الشاعر هنا يشخص الجبل، وذلك بإحساس الألم والحركة التي تؤلم، فتشبه الصورة هنا أسطورة خيالية، حيث جعل الجبل يؤلم نفسه، بل يؤلم جبل "يلملم" أيضًا.

ونجد صورة الذبول والاضمحلال تتكرر عند مجموعة من الشعراء في تصوير "يذبل"، مثل قول "شهاب الدين الشيباني التلعفري":

يا مضرمًا في مهجتي بصدوده حرقًا يكاد لهن "يذبل" "يذبل" (١)

ويقول "صفي الدين الحلي" في رثاء "السلطان الملك الأفضل":

ما للجبالِ الرَّاسياتِ تَسيرُ أفآنَ بَعثٌ للوَرَى ونُشورُ

أم زالَتِ الدّنيا ف"يذبل" "يذبل" منها ويدعي بالثّبورِ نَبِيرُ(٢)

وقول "الشريف زين الدين الحسيني":

إذا نَهضَتْ بي هِمَّةُ الشَّوْقِ أقْعَدتْ عوائقُ أدناهُنَّ "يذبل"نَ "يذبل" (٣)

---

(١) ديوان التلعفري، محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة شهاب الدين الشيباني التلعفري، مطبعة المعارف، بيروت، ط٢، ص ٣٨.

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

(٣) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، مرجع سابق ، ج١٣، ص ٣٨.

ويؤكد الخيال -في هذه النماذج سالفة الذكر- على أن "يذبل" كان مثيرًا لخيال الشعراء، فأنتجوا صورًا فنية فائقة الجودة والإبداع، فإن الخيال هو "أداة التشكيل الأولى في الشعر، وفي الأسطورة هي الخيال..فهو هنا وهناك الذي يكتشف وسائل التجسيد للشعور والفكر، ويصوغ التجربة النفسية في رموزها الخاصة"(١)، و"الأسطورة -عندنا اليوم- لا تخرج عن أن تكون قصة خيالية، قوامها الخوارق والأعاجيب التي لم تقع في التاريخ ولا يقبلها العقل، حتى إننا عندما نريد أن ننفي وجود شيء نقول: إنه أسطوري"(٢).

يقول "الشريف الرضي" يشكر "ملك الملوك قوام الدين" على إخراج مكاتبته:

يَوماً وَلا فَضَّ لَكُم نِظاما حَتّى يُلاقي "يذبل" شَاما (٣)

ويقول "ياقوت بن عبد الله الرومي":

وذاب "يذبل" من وجدي ورض على رضوى ولان لما ألقاه ثهلان(٤)

---

(١) أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، دار الجيل للطباعة، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٤.

(٢) أحمد كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، مؤسسة كليوباترا، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م، ص ١٠٧.

(٣) ديوان الشريف الرضي، مرجع سابق، ج٢، ص ٧٥٤.

(٤) شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت:٦٨١ه)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، م٦، ص ١٢٣.

يشير الشريف الرضي بطريقة غير مباشرة إلى استحالة أن يتلاقى جبلا "يذبل" و"شمام"، فلا يمكن أن يتحرك "يذبل" حتى يلاقي "شمامًا"، أما ياقوت الرومي فيعلن أن جبل "يذبل" قد ذاب من شدة حزنه على فراق محبوبه، وهنا استخدم الشاعران الخيال للتعبير عن تجربة كل منهما.

تأثر الشعراء

تأثر الشعراء بالشعر الجاهلي، ولعل معلقة امرئ القيس من أهم ما تأثر به الشعراء، سواءً أكان تأثرًا مباشرًا مثل الاقتباس، أم غير مباشر، ويعد المكان والصورة الخيالية التي استخدمها في وصف عدم انقضاء الليل، وذلك بتصويره الفضائي بين ربط الثريا التي ترمز إلى الليل وبين جبل "يذبل" الذي يرمز للثبوت والدوام؛ حيث جعل الثريا مربوطة بالحبال الكبار في "يذبل"، فكأن الليل أصبح ثابتًا مستقرًّا لا ينجلي، وفي ذلك دليل على كثرة الهموم التي تطرد النوم، وتهاجم الشاعر في هدوء الليل وسكونه، في قوله:

فَيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِـ"يَذبل"(١)

وهذا "ابن نباتة المصري" يقول مجيبًا لـ"لصلاح الصفدي":

(١) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٩.

أعـدت صـلاح الـدِّين عهـد مـودَّةٍ بكل مغـار الفتـل شدَّت بـ"يـذبل"(١)

هنا يظهر اقتباس الشطر الثاني من قول امرئ القــيس؛ حيــث توافق بالمعنى في جعل المودة بينه وبين "صلاح الدين" مربوطة في جبل "يذبل" الذي أصبح رمزًا للثبوت والقوة.

ونجد "حازم" صاحب المقصورة يتأثر بامرئ القيس في قوله:

يـدك الصـفا دكًـا ولـو مـر بعضـه وأيسـره عـالي السـتار و"يـذبل" (٢)

وذلك باقتباس مباشر من امرئ القيس في قوله:

عَلـى قَطَـنٍ بِالشـيمِ أيمَـنُ صَـوبِهِ وَأيسَـرُهُ عَلـى السِـتارِ فَ"يـذبل"(٣)

ومن التأثر والتأثير الذي لازم اسم جبل "يذبل" عند الشعراء مــا قالتــه "الخنساء" في رثاء أخيها صخر:

---

(١) ديوان ابن نباتة المصري، جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي (ت:٧٦٨ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ص ٥٠.

(٢) أحمد محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ه، م٥، ص ٥٢٢.

(٣) ديوان امرئ القيس، مرجع سابق، ص ٢٦، وينظر: شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة: أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨ه)، تحقيق: أحمد خطاب، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحطومة، بغداد، ١٣٩٣ه، ق ١، ص ١٩٢.

أخو الجودِ مَعروفٌ لَهُ الجودُ وَالنَدى حَليفانِ ما دامَت تِعارُ وَ"يذبل" (١)

نجد صورتين متقابلتين في ثنائيتين متلازمتين، وذلك بمديح أخيها حين رثائه بالجود والندى، وربطته بالأولى وذلك بأقرب صفة معنوية وهي الإخوة وأضفت على صفات أخيها ثوب الحلف فهما متلازمان، ولا يمكن أن يكون هناك جود دون عطاء وكرم، ولا كرم دون جود، ولكنها أثبتت هذه الصفات بدوام جبلي "تعار" و"يذبل" اللذين يعدان رمزًا للبقاء والبروز وعدم التغيير، وبهذه المعاني نجد " معن بن أوس المزني" يمدح "سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية" قائلاً:

أخو العُرفِ مَعروفٌ لَهُ الدينُ وَالنَدى حَليفانِ ما دامَت تِعارُ وَ"يذبل" (٢)

فالتأثر بالخنساء واضح في هذا البيت بنفس المعنى واللفظ خصوصًا في الشطر الثاني الذي اقتبسه، كما نجد أن الشطر الأول يورد المعنى ذاته إلا أنه بدّل (الدين بالجود)، وهذا "الأخطل" يقتبس بيت الخنساء كما هو، إلا أنه بدل (الدوام بالإقامة)، وهو المعنى المراد نفسه، وذلك في قوله:

---

(١) ديوان الخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو الشريد السلمية (ت: ٢٤ه)، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٢) ديوان معن بن أوس المزني (ت:٦٤ه)، صنعة: نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧م، ص٥٢.

أخو الجود معروفٌ له الجود والنّدى حليفان ما قامت تعارٌ و"يذبل" (١)

"تعار: جبل يلي ذقاناً المتقدم ذكره"(٢)، ومن التأثر المشترك لفظًا ومعنىً، لكنه ليس اقتباسًا، مديح "حسان بن ثابت" لـ"لزبير بن العوام"، حيث قال:

فَلا مِثلُهُ فيهِم وَلا كانَ قَبلَهُ وَلَيسَ يَكونُ الدَهرَ ما دامَ "يذبل" (٣)

فالتأثر يبرز بين الخنساء وحسان، وهما متفقان في غرض المديح وفي معنى دوام جبل "يذبل". ويبدو أن هذا التأثير استمر عند الشعراء من بعدهم، فاستلهموا المعنى الذي يرمز للبقاء والدوام؛ حيث يشبهون صفة الممدوح أو فعلته بهذا الجبل الشامخ الكبير، فنجد "السريّ" يضفي على دوامه الخلود في قوله:

ألبستني النعمى التي غيرن لي ود الصديق فعاد منها حاسدا

---

(١) محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٦ه)، التعازي والمراثي، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ه، ص٧٣.

(٢) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت:٤٨٧ه)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مرجع سابق، ج٤، ص ١٣٩٢.

(٣) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م، ج١، ص ٤٣٣، وينظر: يوسف عبد الله عبد البر القرطبي النمري (ت: ٤٦٣ه)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه: عادل مرشد، دار الإعلام، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٣ه، ص ٢٦٣.

فتلبسنَّ بهـا الثنـاء مسـيراً ومخلـداً مـادام "يـذبل" خالـدا(١)

وهذا "أحمد بن علي بن مشرف" يقول في مديح رسـول الله صـلى الله عليه وسلم:

وإن ختـام المرسـلين محمـداً إلى الـثقَلين الجـن والإنـس مرسـل

بأفضـل ديـنٍ للشـرائع ناسـخ ولا يعتريـه النسـخ مـا دام "يـذبل"(٢)

فالشاعر يثبت دوام الدين والرسالة المحـمدية إلى يـوم البعـث، وعدم وجود دين غيره، وذلك بتشبيه ذلك بدوام جبـل "يـذبل" الـذي لا يستطيع إزالته إلا الله سبحانه.

ولم يتوقف التأثر برمزية الدوام والبقاء عند جبل "يذبل" وحـده، فهناك من الشعراء من قرنه برموز أخرى تمتاز بالبقاء عند حديثهم عن ممدوحيهم، مثل قول "ابن الرومي" في أبي الحسن كاتب أبي العباس بن أبي الإصبع، حيث قرن بين "يذبل" و"أبان":

بقيـتَ بقـاءَ مـا تـبني فـإني أراهُ بقـاءَ "يـذبل" أو أبـان(٣)

---

(١) عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت: ٤٢٩ه)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٥٨.

(٢) ديوان أحمد بن علي بن مشرف، مؤسسة مكتبة الفلاح، الهفوف، ط٤، ص٣٨، وينظر: الديوان، مطابع العروبة، الدوحة ، قطر، ص ٥٩.

(٣) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، مرجع سابق، ج٣، ص ٤٠٨.

وقول "الصاحب بن عباد":

وَواصلوا السَير وَزوروا طوسا نَحو عَلِيٍّ ذي العلى بن موسى

حَيّوهُ عَنّي ما أضاءَ كَوكَبُ وَما أقامَ "يذبل" وَكَبكَبُ (١)

وما قيل في مديح "أبي العباس ثعلب الشيباني":

فكم ساكنٍ في ظل نعمتك التي على الدهر أبقى من ثبير و"يذبل"(٢)

ويقول "ابن المقرب العيوني" في مديح له:

وَبَقِيتَ لِلْمَعْرُوفِ أيضًا والعُلاَ أبدًا بَقاءهُما ثبيرَ و"يذبل"(٣)

ويقول أيضًا:

فَعِشْ للمعالي وابقَ للمجدِ ما بقى ثَبِيرٌ على مَرِّ الليالي و"يذبل"(٤)

فمرة يأتي مع "يذبل" "أبان" ومرة "كبكب" وأخرى "ثبير"، ويأتي "تضاد"، في قول "ابن الرومي" في عتاب له ومديح:

---

(١) ديوان الصاحب بن عباد، مرجع سابق، ص ٢٤٢.

(٢) ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٥٥٢.

(٣) ديوان ابن المقرب العيوني، مرجع سابق، ص٤٢٦.

(٤) ديوان ابن المقرب العيوني، مرجع سابق، ص ٤٣٤.

يبقى الفتى بعد الممات بفعله أبداً ويَدْثُرُ "يذبل" ونَضَادُ(١)

كما تأتي "عماية" في قول "ابن المقرب العيوني":

فَبَقِيتَمُ للمُكْرُمَاتِ وللْعُلَا أبدًا بقاءَ عمايتَيْنِ و"يذبل"(٢)

لكن هذا التأثر كان معنًى أكثر منه لفظًا، وذلك ببقاء فعل الفتى إلى الأبدية مقابل اندثار جبلي "يذبل" و"نضاد"، وهنا قوة إثبات البقاء واستحالة زوال هذه الصفات، كما نجد "الأمير الصنعاني" يقول في "إسماعيل بن محمد بن إسحاق":

ودُمْ قريرَ العين في نعمة ما زال في ظهر الفلا "يذبل"(٣)

فيثبت الشاعر الدوام والبقاء بصورة مشابهة لما سبقه بظهور الاستحالة عليها، ويبدو أن الغرض الذي سار فيه التأثير هو غرض المديح، وقد اشتركت فيه غالبية المعاني عند الشعراء.

ونجد التوظيف الديني يلاحق الشعراء في رمزية جبل "يذبل" حتى العصر الحديث، مثل: ما نلحظ عند "أحمد محرم" في قوله:

---

(١) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، مرجع سابق، ج١، ص ٤٦٢.

(٢) ديوان ابن المقرب العيوني، مرجع سابق، ص ٤٢٢.

(٣) ديوان الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني، تقديم وإشراف: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ، ص ٣٠٠.

عَمّـارُ أنـتَ لهـا ولـيس ببـالغٍ عُليـا المراتـبِ مَـن يَكِـلُّ وَيَكْسَـلُ

إن يَثْقُـلِ العِـبءُ الـذي حُمِّلتَـهُ فَلمـا يُحمَّـلُ ذو التَّباعـةِ أثقـلُ

مـاذا بَلغـت مـن السَّـناءِ علـى يـدٍ أدنَـى أناملِـها السِّـماكُ الأعـزلُ

مَسَحتْه ظهـراً مِنـكَ طـالَ مُنيفـهُ حتَّـى تَمنَّـى لـو يكونـكَ "يـذبل"

هـذا رسـولُ اللهِ في أصـحابِه لا يَشـتكِي نَصَـباً ولا يَتمهَّـلُ(١)

يوظف "محرم" تناصًّا دينيًّا يقوم على قصة (عمار بن ياسر) مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حينما مسح ظهره ونفض التراب عن رأسه، عندما كان يحمل لبنتين في أثناء بناء المسجد النبوي، "وصار الموروث النصي على لسان الشاعر بمثابة الاستدعاءات المكنونة في باطن النص"(٢)، مما جعل الشاعر يتمنى أن يكون جبل "يذبل" ذلك البناء القوي العالي والباقي على الدوام.

(١) أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية، أشرف على تصحيحه محمد إبراهيم الجيوشي، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢) يوسف حسن نوفل، استشفاف الشعر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٩٨، بتصرف.

الخاتمة:

– يعد هذا البحث انفرادًا بحثيًّا مؤلفًا كاملًا حول صورة هذا الجبل ورمزيته في الشعر العربي؛ حيث إن تغير اسم جبل "يذبل" إلى جبل "صبحا" كان دافعًا رئيسًا للباحث أن يسجل لهذا العلم حقه التاريخي والأدبي قبل أن تندثر قيمته وقامته مع اسمه؛ وحتى يصير هذا البحث مرجعًا ومصدرًا لمن يأتي خَلَفًا من الباحثين للبحث في أي قضية أدبية تتعلق بهذا الأمر.

– اتضح من خلال البحث أن جبل يذبل كان مصدرًا لإلهام الشعراء، ووطاقة شعرية استخدمت في معظم أغراض الشعر العربي من مديح وهجاء ورثاء وغزل ووصف، مما يدللُ على تعدد المعاني الموظفة للفظه في الشعر.

– لم يترك الشعراء في شعرهم وصف جبل "يذبل" الجغرافي؛ إلا ووظفوه شعرًا من ارتفاع وضخامة وثبات وثقل؛ حتى طبيعته الصامتة والمتحركة، سواء كان هذا على استخدام الدلالة الحقيقية لهذا الجبل، أم عن طريق الدلالة المجازية الخيالية من تصوير وتشخيص وتجسيد، وخاصة الدلالات المعنوية المتنوعة.

– عرض هذا البحث لكيفية استخدام الشعراء، وتوظيفهم شعريًّا لمكونات البيئة في جبل "يذبل" من الحيوانات التي تسكن به مثل: (الوعل، الأسد، الإبل، العقبان) باستخدامها في معانٍ حقيقية، وأخرى خيالية مجازية متنوعة مع تنوع الأغراض الشعرية التي وردت فيها، وكذلك استخدموا مكونات البيئة الجغرافية لهذا الجبل في معانٍ حقيقية ومجازية

متنوعة بتنوع الأغراض الشعرية فمنها: (الأودية، السيول، الربيع، السفح، الفرع، الغار).

- اتضح من خلال البحث أن الشعراء استخدموا جبل "يذبل" -سواءً أكان منفردًا أم بمكوناته البيئية الحيوانية والجغرافية- استخدامًا حقيقيًّا ومتخيلًا في صورٍ عدة كان أبرزها: (المكان المفترض أو المتوقع، المكان المتخيل الرافض، المكان المتخيل الآمن، المكان المتوحش، المكان التشبيهي).

- إن المتتبع الاستخدام الشعراء المتنوع لجبل "يذبل" بكل مكوناته البيئية في كل أغراض الشعر العربي بهذه الكثافة والكثرة وفي دلالات مختلفة ومتنوعة مجازية وحقيقية، ليقر مع الشعراء اتفاقهم على أن هذا الجبل يعد رمزًا شعريًّا وأدبيًّا على مر التاريخ في إلهام الشعراء مختلف المعاني التي يريدون التعبير عنها، وهذا ما أثبته البحث من خلال الشواهد الشعرية المذكورة فيه، والمتنوعة بتنوع الأغراض والشعراء.

- اتضح من استقراء أشعار العرب التي تناولت جبل "يذبل" أنه ورد خلال أشعارهم في البيت والبيتين عبر القصيدة، لكننا لم نعثر على قصيدة واحدة في الشعر العربي أفردها الشاعر ليتناول فيها جبل "يذبل" وحده.

المصادر والمراجع:

- أبو تمام، ديوان، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

- أبو تمام، ديوان، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

- أبو حيان، الديوان، تحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، بغداد، ١٩٦٩م.

- أبو طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم (ت:٢٩١ه)، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

- أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، ديوان، جمع وشرح: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٤ه.

- أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، دار الكتب العلمية، بيروت.

- أبو العلاء المعري، "معجز أحمد" شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ج٢، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م.

- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر.

– أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤ه.

– أحمد أبو القسم الخلوف الأندلسي، ديوان، طبع بالمطبعة السليمية في بيروت، ١٨٧٣م.

– أحمد الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، المطبعة الجمالية، مصر، ط١، ١٣٣٩ه.

– أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، أبو العلاء، (ت: ٤٤٩ه)، شرح اللزوميات، تحقيق: زينب القوصي، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

– أحمد بن علي بن مشرف، ديوان، مطابع العروبة، الدوحة ، قطر.

– أحمد بن علي بن مشرف، ديوان، مؤسسة مكتبة الفلاح، الهفوف، ط٤.

– أحمد كمال زكي، الأساطير دراسة حضارية مقارنة، مؤسسة كليوباترا، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م.

– أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية، أشرف على تصحيحه محمد إبراهيم الجيوش، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

– أحمد محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨ه.

– أحمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨ه)، شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق: أحمد خطاب، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحطومة، بغداد، ١٣٩٣ه.

– أحمد بن مروان الدينوري المالكي، أبو بكر (ت ٣٣٣ه)، المجالسة وجواهر العلم، خرج أحاديثه وآثاره ووثق نصوصه وعلق عليه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، جمعية التربية الإسلامية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

– أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩ه)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكام، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧ه.

– أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي.

– إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت.

– الأقيشر الأسدي، ديوان، صنعة محمد علي دقة، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

– امرئ القيس، ديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥.

– أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، دار الجيل للطباعة، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٥م.

- أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، تحقيق: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٦م.

- البحتري، ديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

- البعيث المجاشعي، شعر، تحقيق: عدنان محمد أحمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٠م.

- بكر بن عبد العزيز العجلي، ديوان، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- ابن الرومي، ديوان، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٢م.

- ابن قتيبة، عيون الأخبار. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦م.

- ابن قلاقس، ديوان، مراجعة وضبط: خليل مطران، طبع بمطبعة الجوائب، مصر، ١٣٢٣هـ.

- ابن هانئ الأندلسي، ديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠ه.

– بهاء الدين زهير، ديوان، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٣ه.

– تماضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو الشريد السلمية، ديوان الخنساء، شرح: ثعلب، أبي العباس، أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي (ت:٢٩١ه)، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، الأردن، عمان، ط١، ١٤٠٩ه.

– تميم بن أبي بن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سورية، ١٤١٦ه.

– جريدي بن سليم المنصوري، شاعرية المكان، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م.

– جرير، ديوان، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

– جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩ه.

– جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٨م.

– جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

- جمال الدين علي بن المقرب العيوني (ت: ٦٣١ه)، الديوان، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، ط٢، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م.

- جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي (ت٧٦٨ه)، الديوان، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

- حسان بن ثابت، ديوان، تحقيق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.

- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ط١، ١٤١٠ه.

- الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجدعة محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥م.

- الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر، بيروت.

- الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، منشورات دار اليمامة، الرياض.

- حسن طبل، المعنى الشعري في التراث النقدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤١٨ه، ١٩٩٨م.

– حمد فهد جنبان القحطاني، المديح في الشعر السعودي المعاصر– دراسة موضوعية فنية، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، الرياض، ط١، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م.

– حمد فهد جنبان القحطاني، المكان في شعر زاهر الألمعي–دراسة في جماليات المكان وإبداع الدلالة، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلة علمية محكمة، عدد خاص، يوليو ٢٠١٤م.

– حمد فهد جنبان القحطاني، مواطن التعريف في منطقة العريف، دار المأمون، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٩ه.

– خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٥، مايو ٢٠٠٢م.

– الراعي النميري، ديوان، تحقيق: راينهرت قابيرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٤٠١ه، ١٩٨٠م.

– ربيعة بن مقروم الضبي، ديوان، تحقيق: تماضر عبد القادر حرفوش، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

– زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، مصر، ١٣٥٢ه.

– سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٨ه.

– سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري ، المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم، طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ط١، ١٣٢٣ه.

– السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق: لجنة من الجامعيين، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت.

– الشريف محمد بن أبي أحمد الحسين الملقب بالرضي الموسوي العلوي، ديوان، تصحيح: محمد بن سليم اللبابيدي، طبع في المطبعة الأدبية في بيروت، سنة ١٣٠٩ه.

– شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت:٦٨١ه)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

– الشوكاني، ديوان أسلاك الجوهر، تحقيق: حسين عبد الله العمري، طبع في دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٦ه.

– شهاب الدين الموسوي ابن معتوق، الديوان، ضبطه: سعيد الشرتوني اللبناني، طبع في بيروت بالمطبعة الأذيبة سنة ١٨٨٥م.

– شرح الواحدي لديوان المتنبي، طبع في مدينة برلين، سنة ١٨٦١م.

– الصاحب بن عباد، ديوان ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار القلم، بيروت ، مكتبة النهضة، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ.

– صفي الدين الحلي، الديوان، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت.

– صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت: ٧٣٩ه)، مراصد الطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ه.

– صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

– صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

– عبد الجبار بن أبي بكر محمد بن حمديس الصقلي السرقوسي، ديوان، تصحيح: جلستينو سكياباريللي، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٧م.

– عبد الرحمن البرقوني، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ه.

– عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحضرمي اليمني الهندي (ت: ١٠٣٨ه)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو وآخرين، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي(ت:٤٨٧)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.

- عبد الله بن محمد بن خميس، معجم اليمامة، طبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، ط١، ١٣٩٨ه.

- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦ه)، عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت: ٤٢٩ه)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ه.

- علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢ه)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.

- علي بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ه)، طوق الحمامة في الإلفة والألاف، مكتبة عرفة، دمشق.

- علي بن الحسن الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، الفجالة، القاهرة، ١٣٢٩ه، ج١

- علي بن الحسن بن علي بن الفضل، ديوان صردر، تحقيق: محمد سيد علي عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ه.

– علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق: السيد محمد يوسف، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٧ه.

– عماد الدين الأصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، وجميل سعيد، ١٣٧٥ه، ١٩٥٥م.

– عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٨٧ه،١٩٦٨م.

– الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان(ت: ٥٢٩ه)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط١، ١٤٠٩ه، ١٩٨٩م.

– الفرزدق، ديوان ، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ.

– القاسم بن علي بن هتيمل، الديوان، دراسة وتحليل، محمد بن أحمد عيسى العقيلي، دار الكتاب العربي بمصر، ط١، ١٣٨١ه.

– قدامة بن جعفر، أبو الفرج، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م.

– كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت: ٨٠٨ه)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.

– محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجري، زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٦م.

– محمد بن أحمد القرشي الأموي الأبيوردي، ديوان، طبع في المطبعة العثمانية في لبنان، ١٣١٧ه.

– محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني، الديوان، تقديم وإشراف: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، الثاهرة، ط١، ١٣٨٤ه.

– محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١ه.

– محمد شاكر الكتبي (ت: ٧٦٤ه)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

– محمد بن الطلبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني (ت: ١٢٧٢ه)، ديوان، شرح وتحقيق: محمد عبد الله بن الشبيه بن ابيه، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.

– محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت: ٦٥٨ه)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

– محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، ط٣، ١٤١٨ه.

– محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (ت: ٥٩٧)، منتهى الطلب من أشعار العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

– محمد بن عمران المرزباني (ت:٣٨٤ه)، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني، وهلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٥ه، ١٩٩٥م.

– محمد بن يحيى الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ، لناشره: ج.هيورث.دن، مطبعة الصاوي، مصر، ١٣٥٥ه.

– محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٦ه)، التعازي والمراثي، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ه.

– محمد بن يزيد المبرد (ت:١٨٥هـ)، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ.

– محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة شهاب الدين الشيباني التلعفري، ديوان التلعفري، مطبعة المعارف، بيروت، ط٢.

– محمود سامي البارودي باشا، الديوان، تحقيق: علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م.

- محمود عمر محمد الزمخشري الخوارزمي(ت:٥٣٨ه)، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة.

- مزاحم العقيلي، شعر ، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح، مكتبة عبد الله الجبوري.

- معن بن أوس المزني، ديوان، صنعة: نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧م.

- مهيار الديلمي، ديوان، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤ه.

- النابغة الجعدي، ديوان، جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد٢٠٧، مارس ١٩٩٦م.

- هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، ترتيب: حمد الجاسر، ط١، ١٤١٣ه.

- ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت:٦٢٦ه)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧ه.

- يوسف حسن نوفل، استشفاف الشعر، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

- يوسف عبد الله عبد البر القرطبي النمري (ت: ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه: عادل مرشد، دار الإعلام، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ.

محتويات البحث

المقدمة

تمهيد:

الفصل الأول: **علاقة "يذبل" بالموضوعات الشعرية**:

المديح:

- **الحلم و"يذبل"**
- **الشجاعة**

الرثاء:

الهجاء:

الغزل:

الوصف:

القصل الثاني: **الطبيعة وصفات "يذبل"**:

المبحث الأول: الطبيعة و"يذبل":

الوعل:

الأسد:

العقاب:

الأبل:

المبحث الثاني: الطبيعة المتحركة والصامتة:

المبحث الثالث: صفات "يذبل":

ثقل جبل "يذبل":

الطول والارتفاع:

الثبوت والقوة:

"يذبل" والصفات المشتركة:

هضبة:

الطود:

الفصل الثالث: "يذبل" وجماليات المكان والصورة

المبحث الأول: "يذبل" ودلالة المكان:

- المكان الحقيقي:
- المكان المتخيل:

أولاً: المكان المفترض أو المتوقع:

ثانيًا: المكان المتخيل الرافض:

ثالثًا: المكان المتخيل الآمن:

رابعًا: المكان المتوحش:

خامسًا: المكان التشبيهي:

المبحث الثاني: "يذبل" والصورة:

- تحريك الساكن:
- أساليب صورة "يذبل":

تشخيص "يذبل":

تجسيد "يذبل":

المبحث الثالث: "يذبل" بين الرمز والتأثير:

- "يذبل" رمزًا
- التأثر:

الخاتمة:

المصادر والمراجع:

محتويات البحث